بينها بحسن الذوق وصورها وان تكن قريبة من صورة التكذيب الا انه لايخفى على اللبيب التميز بينها وبينه باختلاف المقامات والاعتبارات ومن امثلتها الايات الآتية « لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين » « اسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين » « قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » « قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون » « ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين »

ومن امثلته في الكلام المتعارف قولك للمفتخر بعلمه على سبيل التعجيز كسراً من سورة فخره « ان كنت عالماً مجرباً فاذكر لنا في علاج الجذام غير ما ذكره ابن سينا ان كنت من البارعين » فانك قد لا تنكر علمه ولا تجربته ولا براعته انما اردت تعجيزه كسراً من حدة فخره وتقول للجاهل او للاحمق المدعي بالطب وانه وقف فيه على اقوال الاقدمين تهكماً واستخفافاً « اي فلان افدنا بما قاله بقراط في الحمى وعلتها ان كنت من الدارسين المحققين » فانك لا تشك بعدم تحقيقه ودرسه انما اوهمت الشك تهكماً واستخفافاً وهكذا

(سادساً) التوبيخ . وذلك فيما اذا كان ظاهر حال المخاطب مخالفاً لمقتضى علمه بمضمون الشرط كقولك للمتكبر « يا هذا ان كنت من تراب فلا تفتخر » وهذه الجملة يصح فيها ان تكون من قبيل الشرط الملازم اذا ارسلت على سبيل الحكم التعليمي ولم يرد بها مخاطباً بعينه فاذا خصت بمتكبر معين كانت من قبيل الشرط المنفك وكانت (ان) مستعملة فيها لايهام الشك توبيخاً للمخاطب على كبريائه فقس عليها امثالها كقولك لمن يؤذي اباه « ان كان هذا اباك فالاولى بك احسان معاملته »

(سابعاً) الاعتذار . كانَّ المخطئَ يكره الاقرار بخطإِه صراحة فيصانع عن ذلك (بان) والشرط كقول المعتذر «ان كنتُ فعلتهذا فعن خطاء» وعليه قول المتنبي

ان اكنْ قبل أن رَأيتكَ أخطأْ تُ فاني على يدَيكَ اتوبُ

(ثامناً) التجاهل . كجواب الخادم وقد سأَلته عن مولاه افي غرفته هو ام لا فيقول لك «ان كان فيها اخبرتك» فانه ان قال لك هو في غرفته خاف ملامته فيما بعد او قال ليس فيها فكذلك فيصانعك بايهام الشك الى ان يقف على ارادة مولاه وكقول تلميذ مدرسة لرفيقه في كتاب يعلم انه في غنىً عنه «ان كنت في غنىً عن كتاب كذا فاعرني اياه» فان خوفه من قبح الرد يحمله على هذا التجاهل وايهام انه شاك وليس به شك وهذا كثير في انواع المخاطبات والمكاتبات وربما يعد منه قول المتنبي

إِنْ كُنتِ ظاعِنةً فإِنَّ مَدامِعي تكفي مَزادَكُمُ وتُرْوِي العِيْسا

بناءً على انه كان متحققاً عنده ظعنها الاَّ انه اوهم الشك وتجاهل مخافة ان ترد عليه فيما لو صرَّح ما لا يرضي من الجواب كأَن ترفض ما عرضه عليها في الجزاء وهذا النوع كثير في المخاطبات دائرة فيها على الالسنة كما لا يخفى

(تاسعاً) مجاراة الخصم في مناظرة وشبهها وعليه قول ابي العلاء

زَعمَ المُنجِّمُ وَالطبيبُ كِلاَهما أَنْ لا مَعادَ فقلتُ ذَاكَ إِليكُما

إِن صحَّ قولُكما فلستُ بِنادِمٍ او صحَّ قولي فالوَبالُ عليكُما

فانه معتقد عدم صحة قولهما ومعتقد صحة قوله ايضاً الاَّ انه اوهم انه شاك مجاراة لما في معالنتهما بفساد قولهما وصحة قوله من التنفير وتهييج روح المقاومة وعدم التسليم ويلحق بهذا الباب ايهام الشك بصحة قضية لاثباتها من وجهة اخرى

كما في البرهان غير المستقيم وهو كثير في الهندسة كقولك مثلاً « ضلعان من مثلث هما معاً اطول من ضلعه الثالث والاَّ فالخط المستقيم ليس هو اقرب بعد بين نقطتين »

(عاشراً) عدم معالنة المخاطب بثبوت ما يعتقده من الشرط لان في معالنته ما يدعو الى شدة اصراره وتمسكه بمعتقده والمقصود ازالته عنه ببيان ما يدل على خطاه. وهذا قريب من الغرض التاسع الا انه في غير مناظرةٍ ولا على صورة برهان واوضح ما يستشهد له به الآية « وان كنتم في ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأْتوا بسورةٍ من مثله » فان ريب المخاطبين واقع لا شك فيه الاَّ انه اوهم الشك بوقوعه وهذا مما يدعوهم الى التساؤل في انفسهم عن سبب الشك فيما هم قاطعون به فتعظم رغبتهم في ايراد السبب لينظروا في صحته وذلك ادعى للتسليم والتنزُّل عما هم فيه وتحرير القول في الآية « اني اشك بكونكم مرتابين (لعدم الموجب له) فان ثبت فانا ادلكم على ما يزيله او يحملكم على التمسك به وهو ان تأتوا بسورة من مثله فان اتيتم بمثله فلكم ان تبقوا على ريبكم وان عجزتم ففي ذلك دليل على عدم صحة ما يحملكم على الريب » ولا شك ان هذا كلام منصف ومساقه على هذا الاسلوب مما يدعوهم الى التجربة وتقاصرهم كل مرة عن الاتيان بمثله اكبر دليل على فساد رأيهم ان كانوا يعقلون. فهذا ما اراه في (ان) واستعمالها ايهاماً للشك فليقابل على ما ذكره البيانيون وما تكلفوه في تطبيقها على حقيقة الشك وفوق كل ذي علم عليم

باب الجملة الاسمية

المبتدا والفرق بينه وبين الفاعل

قد علمت ان المسند اليه عند البيانيين يطلق على المبتدا والفاعل بالاشتراك الاّ انا ميزنا احدهما عن الآخر لسهولة البحث ونزيدك هنا وان كنت تعلم انّ الفاعل لا يكون في الاسناد الذي هو حقيقة عقلية الا ما قام به الفعل اومعناه نحو «قام زيدٌ ونام ومرض واكل وشرب الخ» واما المبتدا فقد يكون ما قام به الفعل نحو (زيدٌ نام ومرض واكل وشرب الخ) وقد يكون ما وقع عليه الفعل نحو (زيدٌ رأيته واكرمته) وقد يكون غير ذلك نحو (زيد قام ابوه واحببت اخلاقه) وبالجملة ان الفاعل لا يسند اليه الا فعله او معناه بخلاف المبتدا فانه يصح ان يسند اليه ما لابسه اوتعلّق به بوجهٍ من الوجوه كما مر بك من الامثلة

بقي فرق اخر بين المبتدا والفاعل وهو ان المقصود اولاً في جملة المبتدا والخبر انما هو المسند اليه فكانما الذهن ينظر اليه اولاً ثم الى ما لابسه من الخبر ولذلك كان لفظه مقدماً طبعاً على الخبر فلا يتاخر الا لغرض مما سنذكره . وقد لحظ النحاة هذا المعنى فقالوا من ثم ان رتبة المبتدا التقديم لانه محكوم عليه والمحكوم عليه قبل الحكم بخلاف جملة الفعل والفاعل فان المقصود فيها اولاً انما هو المسند اي الفعل مضافاً اليه الفاعل ثم مالابسه من بقية متعلقاته ولهذا لا يقدم الفاعل على الفعل اصلاً لئلا يلتبس بالمبتدا في انه هو المقصود اولاً ولا يجوز ان تتقدم عليه بقية متعلقاته الاّ لغرض وقد ابنّا ذلك في ما مرّ بك في الكلام عن الجملة الفعلية

الخبر واقسامه

الخبر هو المسند الى المبتدا او المحكوم به عليه ويقسم الى قسمين مفرد وجملة والجملة تقسم الى اسمية وفعلية . ثم المفرد لا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً والموصوف اما ان يكون نفس المبتدا

في المعنى او غيره يقصد تشبيه المبتدا به فصارت جملة الاقسام سبعة واليك هي

(١) زيد عندك او في بيته

(٢) الاجتماع الآن او غداً او في الشهر القادم

(٣) زيد اخوك · رأس الحكمة مخافة الرب · الانسان حيوان ناطق

(٤) زيد ابوه · ابو يوسف ابو حنيفة اي زيد كأبيه وابو يوسف كأبي حنيفة

(٥) زيد عالم · قائم · مؤمن · ذكي · شجاع الى اخره

(٦) زيد لسانه فصيح · زيد نفسه طامحة الى المعالي · الكريم نفسه تطمح الى المعالي

(٧) المال يعز الذليل والفقر يذل العزيز

اسناد المكان والزمان والموصوف الى المبتدا

اذا تأملت الجمل الاربع المذكورة اعلاه وانتبهت لما في محفوظك من استعمالات اللغة علمت ان الاسناد الى المكان كما في الجملة الاولى يدل اقتضاء على زمن الحال وان الاسناد الى اسم الزمان كما في الثانية يدل الموضوع منه للحال على زمن الحال والموضوع للمستقبل على زمن الاستقبال فاذا اردت زمن الماضي او الاستقبال في الاسناد الى اسم المكان او الماضي في الاسناد الى اسم الزمان فلا بد من ذكر الفعل الدال على الزمان المقصود نحو كان وسيكون زيد في بيته وكان الاجتماع البارحة · واما الاسناد في المثال الثالث فاذا أُخذ على اطلاقه خلواً من سائر الاعتبارات وجب تجريده من كل ما يدل على زمان وسببه ان المقصود من الاسناد في قولنا «رأس الحكمة مخافة الرب» و«الانسان

حيوان ناطق » هو ان المفهوم من المسند اليه والمفهوم من المسند يوجد احدهما مع وجود صاحبه مطلقاً لانهما شيء واحد فذكر ما يدل على الزمان اذن من قبيل العبث وهو لا يخفى على متأمل واما المثال الرابع فدال على التشبيه ولذلك فهو من قبيل اسناد الصفة على ما في المثال الخامس

اسناد الصفة الى المبتدا

ماهية الصفة ودلالتها

الصفة ما اشتقت لما قام به او وقع عليه الفعل وهي تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما فهي من حيث دلالتها على الذات تتصل بالاسماء فتنوب منابها نحو « فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » او تنعتها وهو كثير نحو « رجل كريم » او تسند اليها نحو « زيد قائم » ومن حيثية دلالتها على الحدث تتصل بالافعال فتسند الى الاسماء نظيرها نحو « زيد قائم » وتتقيد بزمان او مكان او سبب او فاعل نحو « اذاهب الزيدان اليوم الى بيروت لزيارة صاحبهما » وغير هذه من القيود التي يتقيد بها الفعل كالمفعول المطلق والمفعول له كما لا يخفى

قلنا ان الصفة تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما وتلك العلاقة انما هي علاقة التلبس اي اجتماعهما معاً فاذا تقدم على الصفة ذات اخرى مساوية للذات المدلول عليها بها في التعريف والتنكير كانت تلك الذات المتقدمة مفسرة للذات العامة في الصفة ويستغنى بها عن تقديرها (اعني العامة ثانية) نحو « رجل كريم » او « الرجل الكريم » فان (رجل) هنا

فسرت الذات العامة في الصفة (كريم) ونابت منابها في التلبس بالحدث . واما اذا ذكرت معها ذات اخرى معرفة او نكرة مخصصة نحو « زيد قائم » و « الرجل مسافرٌ » كانت الذات العامة في الصفة مسندة اليها اسناد العام الى الخاص اي « زيد ذات قائم » و « الرجل ذات مسافر » على حد قولنا « زيد رجل صالح » والانسان حيوان ناطق

دلالة الصفة على الزمان

لا دلالة للصفة في اصل الوضع على الزمان اصلاً شأن سائر الاسماء الاَّ ان تلبس الذات بالحدث واجتماعهما معاً لا بد له من زمان واذا لم يكن في الجملة ما يدل على نوع الزمان تعين زمن الحال الذي هو اصل الزمان باعتبار ان الماضي والمستقبل متفرعان عنه لانهما يدركان باعتباره فضلاً عن ان تلبس الذات بالحدث الذي هو من مدلول الصفة لا يمكن ادراكه واقعاً فعلاً الا في زمن حال وعليه فقولنا « زيد قائم » انما هو في الاصل اخبار عن مشاهد وهو متقدم على الاخبار بقولنا « كان زيد قائماً » « وسيكون زيد قائماً » فانك ما لم تدرك اولاً قيام زيد واقعاً في المشاهد لا يصح ولا يمكن الاخبار عنه بصورة كان او سيكون زيد قائماً والاخبار في كلتا الجملتين الاخيرتين انما هو اخبار عن صورة في الذهن منشأُها عن صورة في الخارج شوهدت في زمن حال اوَّلاً

والخلاصة ان الزمان المدلول عليه بالصفة المسندة انما هو في الاصل زمان الحال لا غير ولا دلالة لها على الماضي ولا على المستقبل اصلاً . ولنا على ذلك برهان لغوي نذكره تنبيهاً لخاطر المطالع فنقول

لا يخفى ان الفعل الماضي يتقيد مع دلالته على الماضي بقيود كالامس والبارحة ومنذ يومين او اسبوعين وهلمَّ جرًا وهذه القيود لا تجوّز اللغة استعمالها مع الصفة اصلاً فلا نقول «زيد قائم البارحة» ولا «زيدٌ عالم الاسبوع الماضي» وهو ظاهر ولو كان للصفة دلالة بالوضع على الماضي كالفعل ما امتنع ان تقيد بما يقيد به من اسماء الزمان كما مر . ومثل ذلك الفعل المضارع في دلالته على الزمان المستقبل فانه تدخل عليه ادوات منها افعال كافعال المقاربة والرجاء ومنها حروف ايجاب كالسين وسوف او نفي كلن فان هذه تدخل على المضارع فنقول « زيد كاد او عسى ان يقوم »و « زيد سيقوم او سوف يقوم » و « لن يقوم » بخلاف الصفة فانه معلوم ان هذه الادوات لا تدخل عليها اصالةً فلا يقال « زيدٌ كاد قائمًا » ولا « سوف قائم » الخ ولو ان للصفة دلالة كدلالة المضارع على الاستقبال ما امتنع دخول هذه الادوات عليها

بقي انها اي الصفة تدل على الحال لكن لا ينبغي ان تلتبس دلالتها بدلالة المضارع وذلك لانها اي الصفة تدل على التلبس بالحدث فعلاً والمضارع على ابتدا التلبس به ايضاحاً للحال واستحضاراً لتلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها تقع فعلاً وذلك ظاهر من ابسط امثال اللغة كقولك « رأيت زيداً واقفاً على قدميه » و «رأيته يقف على قدميه » فان مدلول الكلام الاول ان زيداً كان متلبساً بالوقوف على قدميه عند رؤيته فلم يرَ الا واقفاً عليهما بخلاف مدلول الكلام الثاني فانه يدل على ان الوقوف لم يكن حاصلاً انما كان آخذاً في الحصول ولذلك تدخل افعال الشروع كأخذ وابتدأ وشرع على المضارع فيقال « اخذ زيد يكتب وابتدأ يقرأ وشرع يتكلم » ولا تدخل على الصفات

اصلاً فلا يقال « ابتدأ زيد ماشياً » ولا « اخذ متكلماً » . وهذا الفرق بمكان من الاهمية فلا يذهب عنك تذكره ولمزيد تقريره نقول لك ان الصفة لا بد معها بحسب اصل وضعها من الدلالة على التلبس بحدثها والاتصاف به فعلاً في زمن الحال بخلاف دلالة المضارع فانها على ابتداء وقوعه فتأمل

الصفة تدل على الازمنة الثلاثة بالاستمرار

فمن اين جاءت لها هذه الدلالة

اعلم ان هذه الدلالة ليست من اصل وضع الصفة انما هي دلالة خارجية عقلية مستفادة من المشاهدة والاختبار ولذلك كان الفعل يدل عليها ايضاً فاننا نعلم بالاختبار والمشاهدة ان بعض الصفات لم يعرف عنها الا انها مقارنة لموصوفاتها كارتفاع لبنان مثلاً وانخفاض وادي قنوبين . ونعلم ايضاً ان بعض الصفات اذا اقترنت بموصوفاتها استمرت على ذلك الى ما شاء الله نحو كون هذا الحجر وملاسة ذاك واستدارة هذا وتربيع ذاك وطول هذا وقصر ذاك الخ وكالجود والبخل والحمق والحلم والفطنة والغباوة الخ فان جميع هذه الصفات وامثالها اعني التي لا تفارق محلاتها بعد اذ تتصف بها او التي لم ندركها الا متلبسة بموصوفاتها هي اذا اسندت الى ما يليق بها « نحو زيدٌ جواد حليم » و « هذا الجبل مرتفع » دلت على استمرار الاتصاف وتناولت الازمنة الثلاثة من غير تقييد بل تقييدها حينئذٍ من باب العبث لانه تحصيل للحاصل ولذلك فلا تجوزه اللغة ولا يجري على السنة المتكلمين بها الا لغرض كاحضار الازمنة الثلاثة قصداً لدى الذهن كقولك كان ويكون وسيكون زيدٌ شريفاً

الاَّ انّ هنالك صفات اخرى غير التي ذكرناها وهي تقتضي بطبعها التجدد فتفارق موصوفاتها بعد ملابستها لها كالقيام والقعود واليقظة والمنام والضرب والقتل وسائر الصفات الاخرى التي يشاهد تعديها من فاعلها الى مفعول به فهذه جميعها لا تدل الاَّ على الاتصاف نحو « زيد قائم وواقف وجالس » وهذا اظهر من ان يوضح الاَّ ان بعضها كاليقظة مثلاً مما يشاهد استمرارها لكن الى مدة لا تتجاوز المفهوم من زمن الحال بحسب المتعارف (لا بحسب المفهوم منه عند الفلاسفة والمتكلمين) قد تدل على الاستمرار نحو « زيد مستيقظ » لكن بين الاستمرار المفهوم منها وبين الاستمرار المفهوم من اسناد العلوّ الى لبنان مثلاً فرقٌ ظاهرٌ يدركه العقل عند اقل تأمُّل واستعمال اللغة يفرق بين هذين الاستمرارين وذلك ان الاستمرار المفهوم من اسناد العلو الى لبنان يؤدى بصريح الفعل المضارع كما يؤدى بالصفة بخلاف اليقظة فان استمرارها لا يلمح الا بالصفة المسندة دون الفعل ومثاله انك تقول « ولما قاربنا شطوط بيروت نظرنا فاذا لبنان يعلو من ورائها الى الوف من الاقدام » فتفهم الاستمرار من لفظ الفعل (يعلو) ولكنك اذا قلت مثلاً « ولما دخلنا فسحة الدار نظرنا فاذا زيد يستيقظ » لم يفهم من الفعل استمرار اليقظة لزيد اصالة انما يفهم منه ابتداء تلبسه بحال اليقظة لا غير كما لا يخفى فلا يذهب عليك الفرق بين الاستمرارين وموجبه في الخارج فانه ظاهر للمتأمل

الصفة تدل اقتضاءً على التلبس او الاتصاف بما له علاقة بالحدث المشتقة هي منه لا بالحدث نفسه كالقصد والاستعداد والقدرة والتقدير والامكان وما في معنى ذلك كالعادة او ما يقرب منها

علمت مما مرَّ ان مدلول الصفة واقع بخلاف مدلول المضارع فانه اما في حال الوقوع او انه سيقع وعليه فاذا فهم من الصفة عدم الاتصاف بالحدث او التلبس به فعلاً فلا بد من دلالتها على التلبس بشيء مما له تعلق بالحدث والاّ خرجت عن اصل دلالتها وهذا الشيء انما هو القصد او امرٌ آخر من الامور التي ذكرناها اعلاه واليك شواهد اللغة على ذلك

قال ابن الاثير (وجه ٣٢٧ طبعة بولاق) « ومما اطربني من ذلك حديث الحديبية وهو انه جاء بديل بن ورقاء الخزاعي الى النبي صلعم فقال له اني تركت كعب بن لؤي بن عامر بن كعب (اي اهل مكة) معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت » والشاهد في قوله « وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت » فان التلبس او الاتصاف بالمقاتلة والصد لم يكن حاصلاً لهم بعد فلا بد اذن من اتصافهم اي (اهل مكة) بما له تعلق بالمقاتلة والصد وهو هنا القصد والاستعداد لذلك بدليل ان معهم العوذ المطافيل جرياً على عادة العرب اذا ارادوا القتال ولو ابدلت جملة الشاهد بقولنا « وهم قاصدون قتالك وصدك عن البيت ومستعدون له » لكان منطوق هذه العبارة مساوياً لمفهوم تلك كما لا يخفى على من تدبر

ومثل ذلك ورد قول الاعشى في اعتذاره الى اوس بن لام عن هجائه

اياه وقد اثبتنا مع بيت الشاهد غيره لما فيها من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة قال

وإني عَلَى ما كانَ مِنّي لَنادمٌ ... وإني الى أَوْسِ بنِ لأمٍ لَتائبُ
وإني الى أَوْسٍ لِيَقْبَلَ عِذْرَتي ... وَيَصفحَ عنّي ما حييتُ لَراغبُ
فَهَبْ لي حياتي فالحياةُ لِقائمٍ ... بِشُكرِكَ فيها خَيرُ ما انتَ وَاهِبُ
سأَمحو بِمَدْحٍ فيكَ إِذْ انا صادِقٌ ... كتابَ هجاءٍ سارَ إِذْ أَنا كاذِبُ

ولا يخفى ان دلالة الصفات (نادم) و (تائب) و (راغب) و (صادق) و (كاذب) جارية على اصلها من التلبس بالندم والتوبة الخ لانها كلها اعني الندم والتوبة الخ واقع الاتصاف بها و بيت الشاهد هو الثالث فان القيام بالشكر غير حاصل والشاعر لم يكن قد تلبس به بعد بل الحياة التي يكون فيها الشكر لم تكن بعد وقعت فهو يطلبها منه ليقوم بشكره فيها فاذن المراد بقائم اقتضاءً قاصد القيام ولو قلنا « فهب لي حياتي فالحياة لقاصد القيام بشكرك فيها خير ما انت واهب » لاستوى مفهوم المنطوق في العبارة بمفهوم المدلول في البيت

وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق فجاءت الصفة في كلامه دالة على الاقتدار والاستعداد قال

صَبَحناهُمُ الشُّعْثَ الجِيادَ كأَنها قَطاً ... هيَّجتهُ يومَ رِيحٍ أَجادِلُهْ
الى كلِّ حيٍّ قد خَطَبنا بَناتِهِمْ ... بِأَرْعَنَ جرَّارٍ كثيرٍ صَواهِلُهْ
إِذا ما التَقَينا أَنكَحَتْنا زِماحُنا ... منَ القَوْمِ أَبكاراً كِرَاماً عَقائِلُهْ
وإِنَّا لَمَنّاعُونَ تحتَ لِوائِنا ... حِمانا اذَا ما عاذَ بالسَّيفِ حامِلُهْ

والشاهد في البيت الرابع في قوله (وانا لمناعون تحت لوائنا الخ) فان المفعول من الصفة ليس تلبسهم بالمنع وانه واقع فعلاً بل قصد الشاعر الى ان

يفهم انهم مقتدرون على المنع وبذلك حاصل تلبسهم لما عندهم من اسباب ذلك من الخيول السريعة وكثرة العدد والعُدد على ما وصف في الابيات المتقدمة على بيت الشاهد . ولاقتدارهم على المنع بما عندهم من اسبابه الملازمة جاء بصيغة المبالغة ايضاً ليدلّ على ان اقتدارهُ على المنع لا يكون لهم لمرة بل لمرّات كلما دعا داع لذلك

ومثله في دلالة الصفة على القدرة قول عمرو بن كلثوم في معلقته

وَقد عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ إذا قُبَبٌ بأبطَحِها بُنِينا
بأنّا المُطعِمونَ اذا شَتَوْنا وأنّا المُهلِكُونَ اذا أُبتُلِينا
وَأنّا المانعونَ لِمَا اردْنا وأنّا النّازلونَ بحيثُ شِئْنا
وأنّا التّاركونَ اذا سَخِطنا وأنّا الآخِذُونَ اذا رَضِينا
وَأنّا العاصِمُونَ إذا أطَعنا وَأنّا العارِمُونَ اذا عَصِينا

فان دلالة الصفة على القدرة في اكثر هذه الابيات مما لا يحتاج لزيادة ايضاح الا المطعمون في البيت الثاني فان دلالتها على العادة اظهر من دلالتها على القدرة كما يبين لك ذلك عند التأمل

ومن امثلة دلالتها على العادة على ما ارى قول الاخطل

مُلَطَّمونَ بأعقارِ الحِياضِ فما يَنفكُّ من دارِ مَيٍّ فيهِمِ أَثَرُ

وقول المتنبي

فَيا ابْنَ الطّاعِنينَ بكلِّ لَدْنٍ مَواضِعَ يَشتَكي البَطَلُ السُّعالا
وَيا ابْنَ الضّارِبينَ بكلِّ عَضبٍ منَ العَرَبِ الأَساوِدَ وَالقِلالا

اي معتادون ان يلطموا ويا ابن المعتادين الطعن والضرب واما دلالتها على التقدير (من قدر الله الشيء) فكقول البحتري

هلِ الشَّبابُ مُلِمٌّ بي فَرَاجِعَةٌ أيّامُهُ لِيَ في اعقابِ أيّامِ

فانه لا يسأل عن اتصاف الشباب بالالمام به ولا عن اتصاف ايامه بالرجوع له انما هو يسأل عما اذا كان ذلك مقدراً له او عن إمكانه لكن لما كان ذلك مما يعلم عدد امكانه انقلب الاستفهام الى التمني وهو ظاهر و كذلك ورد قول احد العراقيين

وَعما قليلٍ انتَ لا شكَّ صائرٌ الى مالكٍ فَاُفطنْ لِما انا قائلُ

اي مقدرة لك الصيرورة الى ما لك عما قليل . ومالك الملاك الموكل بالنار ومنه « كل من عليها فانٍ » فان اتصاف كل من عليها بالفناء ليس بواقع فعلاً والواقع فعلاً اتصاف كل من عليها بامكان الفناء او انه مقدر عليه ذلك والامثلة على كل ما ذكرنا كثيرة لا تخفى على من توجه نظره لملاحظتها في كلام الفصحاء واشعارهم والله اعلم

ملاحظات مبنية على ما مرَّ

(١) استعمل الافعال والصفات في مواقعها اللائقة بها فان كان مرادك الاتصاف فالصفة اولى وان تصوير الفعل وظهور نتيجته فالمضارع اولى كقولك « العلم يهذب الطباع » اي متصف بصفة هذا شانها فان اردت الى ظهور نتيجتهِ فقل « العلم يهذب الطباع »

(٢) الصفات الثابتة لموصوفاتها لا تعلمها الاَّ كذلك والصفات التي اذا تلبست بموصوفاتها لا تفارقها الاَّ لسبب كالصفات الدالة على السجايا والاخلاق وما في معناها جميع هذه لا تستعمل افعالها الاَّ مقيدة بقيد لائق بها ووقوعها في النفي اكثر منها في الاثبات واوقع في النفس فتقول مثلاً « جبل عالٍ » و « زيد سمح شجاع عفيف متواضع حليم صبور ذكي فطن سيد الخ » (لا جبل يعلو) و (زيد يسمح) و (يشجع) الا مع قيد لائق كأن تقول في الاثبات « جبل يعلو كذا قدماً عن سطح البحر » و « زيد يسمح بماله في بناء المجد و يشجع اذا جبن من سواه » وهكذا واما في النفي فكأن تقول « لا يشجع المرء الاَّ لسبب ولا يجبن الاَّ لسبب ولا يذكو العقل الاَّ مع التهذيب ولا يحلم الجاهل الا عن

عجز ولا يتواضع الا عن خوف » و كقولهم « الحسود لا يسود والكريم لا يبخل والحكيم لا يسرف ولا يشتط والمؤمن لا يقنط من رحمة ربه » وهلمَّ جرًّا والمنظور اليه مع الفعل على ما ارى انما هو الى المظاهر المترتبة في الخارج اعني الى ظهور الفعل او ظهور نتيجته فان مفهوم جملة (لا يذكو العقل الا مع التهذيب) مساوٍ لمنطوق جملة (لا يظهر ذكاء العقل الا مع التهذيب) فقس عليه

(٣) ما اقتضى حركة او تقلبًا او انتقالاً فالفعل اولى بالدلالة عليه من الصفة كقولك « رأيت البحر تضطرب امواجهُ و يلاطم بعضها بعضًا » و « الاغصان تتايل والماء يجري او يتسلسل » و « نظرت زيداً يجول في البستان و يركض على الطريق و يرقص و يدور وسمعته يتكلم و ينشد ومرَّ تفوح منه رائحة المسك و يسحب اذياله مرحاً و يرفل بالدمقس» الى غير ذلك من الامثلة

واذ فرغنا الان من دلالة الصفة فلننظر في دلالة الجملة الاسمية الواقعة خبراً على ما في القسم السادس من اقسام الخبر ثم في دلالة الجملة الفعلية على ما في القسم السابع

اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا

زيدٌ لسانه فصيح

لا يخفى ان التبديل ممكن في صورة هذه الجملة مع بقاء المعنى على حاله فنقول

(ا) زيد لسانه فصيح او

(ب) زيد فصيح اللسان او

(ج) لسان زيد فصيح

الا ان المثال الاول من قبيل الاخبار بالجملة بخلاف الثاني والثالث فانهما من قبيل الاخبار بالصفة وقد مر بك الكلام في دلالة الصفة فان قلت فمتى تستعمل احدى هذه الصور الثلاث دون الاخرى قلت ذلك امر يرجع الى ذوق المتكلم وما يراه من الاعتبارات اللفظية السابقة واللاحقة فان اراد السجع فربما اختار الثانية فقال مثلاً «زيد فصيح اللسان ثبت الجنان وواسطة عقد هذا الزمان» او غيره فغيرها على ما يحلو له وهذا مما لا يقع تحت حصر لاختلاف المقامات والاغراض في الكلام والبحث فيه ضرب من التطويل فلنرجع الى غرضنا من البحث عما في اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا من الاعتبارات المعنوية واول ما ننظر فيه تخريج الاعراب ولم اعلم من نقل في (زيد لسانه فصيح) غير وجهٍ واحد وهو ان زيدٌ مبتدا ولسانه مبتدا ثانٍ وفصيح خبر عن المبتدا الثاني والجملة خبر عن زيد مع انه لا مانع اصلاً من اعراب (لسانه) بدلاً من (زيد) . وسواء جرينا على اعراب المعربين او قلنا بالبدل فالغرض منصبٌ الى اللسان والمراد تقريره في الذهن مضافاً اليه حكمه وهو الفصاحة وتعليله العقلي على ما ارى انه عند ذكر زيدٍ (وزيدٌ معرفةٌ) يتنبه العقل الى احضار صورته في الذهن مع مشخصاتها ويتهيا لما يراد نسبته اليها فاذا ذكر لسانه انصرف الذهن اليه دون بقية المشخصات وعلم ان الخبر منصرف اليه خاصة وفي ذلك من التقرير وانصباب الغرض الى اللسان ما لا ينكره الاَّ المتعنت وهذا الاعتبار لا يؤدى على اوضح صورة واقربها للطبع الا بالصورة الاولى

ويمكننا التعليل ايضاً بعبارة اخرى والمآل واحد فنقول اننا ابتدأنا بزيد

اولاً فاحضرناه مع اهم مشخصاته في الذهن ثم اخذنا اللسان من بين تلك المشخصات وابتدأنا به ثانية ثم صرفنا اليه الخبر فالغرض اذن منصبٌ الى اللسان وتقريره في الذهن وهو واضح فقس عليه غيره من الجمل كقولنا « زيدٌ نفسه طامحة الى العلا » وامثالها من الجمل الاسمية المسندة الى المبتدا

اسناد الجملة الفعلية الى المبتدا

(المال يعزُّ الذليل) . وهذه الجملة يمكن ان يعتبر فيها عدة اعتبارات منها انا احضرنا صورة المال في الذهن وفكرنا في فوائده او خصوصياته المسلمة عند الجمهور فوجدنا منها انه يعزُّ الذليل ودليله انه يمكنا عطف خصوصياته الاخرى التي نعلمها على الفائدة المتقدمة ولا يلحظ السامع في ذلك نبوة ولا خروجاً عن المألوف من سلسلة الافكار الطبيعية نحو « المال يعزُّ الذليل و يرفع الوضيع وينوّه بالخامل ويحل لسان الالكن » الخ

ومنها انا فكرنا في زيد وعمرو وبكر وغيرهم ممن كانوا اذلاء فعزوا فرأينا المال سبباً في اعزازهم فبنينا على ذلك حكماً عاماً يتناول جميع الازمنة الا ان الزمن الماضي منظور اليه من حيث كان سبباً لبنيان الحكم والمستقبل من حيث انه تظهر فيه نتيجته تحقيقاً لعدم تخلف المسبب عن السبب ولما كان المهم معرفة عدم تخلف الحكم في المستقبل لا جرم اتينا بصورة المضارع كما ترى وهذا الاعتبار ملحوظ في كل ما كان من الجمل على هذا النحو نحو « الابن الحكيم يسرُّ اباه والابن الجاهل يحزن امه » و « الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط » و « لسان الحكماء يحسّن المعرفة وفم الجهال

ينبع حماقة » و « الذكي يبصر الشر فيتوارى والحمق يعبرون فيعاقبون » و « الهدية في الخفاء تفثأ الغضب والرشوة في الحضن تفثأ السخط الشديد » الخ ومثل هذا قولك « الماء يتألف من عنصرين » فانه حكم عام يتناول جميع الازمنة الا ان الماضي منظور فيه الى التجربة التي اثبتت صحة هذا الحكم واما المستقبل فالى ان الحكم ثابت فيه تظهر صحته كلما تكرّرت التجربة ولهذا يصح لمن يقول هذه الجملة ان يردفها بقوله « وقد اثبت العلماء بالامتحان صحة هذا الحكم ويمكنك الان تحقيقه بالتجربة الآتية »

ومما قد يصح اعتباره في مثل هذه الجملة ايضاً القصر إما الحقيقي على سبيل المبالغة او الاضافي على سبيل القلب او التعيين وعليه فيصح فيها ان نردف بقولنا (لا غيره) او (لا كذا) نحو « المال يعزُّ الذليل لا غيره » او « المال يعزُّ الذليل لا عشيرته » وسيأتي معنا الكلام في القصر واحكامه مفصلاً

ومما يصح اعتباره ايضاً الاختصاص وهو عبارة عن اثبات الحكم او نفيه عن المخصوص بقطع النظر عن غيره لمزية فيه اي المخصوص توجب التفات الذهن اليه وعليه فاذا كان المراد اعتبار الاختصاص في جملة المال يعز الذليل كان المعنى اثبات اعزاز الذليل للمال بقطع النظر عن غيره من الاسباب الاخرى كالعلم والعشيرة والتقرُّب من ذوي السلطة والوجاهة فان جميع هذه لا يراد نفي الحكم عليها بالاعزاز عند ارادة الاختصاص انما يراد صرف الذهن عنها لحصول الاستغناء عنها بالمال وسيأتي لنا كلام في الاختصاص والفرق ما بينه وبين الحصر إن شاء الله

تنبيهات

اولاً : اعلم ان الماضي اذا وقع خبراً نحو « المال اعزّ زيداً » جاز لنا ان نعتبر معه ما اعتبرناه مع المضارع من القصر والاختصاص الا ارادة الحكم العام فانه لا يستعمل بهذا المعنى على ما يشهد به حسن الذوق والبلغاء لا يقولون « المال اعز الذليل » تصويراً لهذا الحكم الكلي اصالة نعم يقولون في سياق البرهان مثلاً « واذا تحقق ان المال اعز الذليل في الماضي كان لنا ان نحكم انه يعزه الآن والى ما شاء الله » فتأمل

ثانياً : الصفة ادل على التحقق من المضارع لانها تدلُّ على الاتصاف اما بسبب الحدث او بما له تعلق به كالقصد وغيره مما مرَّ بك وعليه فقولنا (العلم مهذب الطباع) ادلُّ على التحقق من قولنا العلم يهذب الطباع لاعتبارنا اتصافه بخاصة اوسبب من شأنه التهذيب في المثال الاوَّل ومجرَّد الحكم بحصول التهذيب في الثاني ولا يخفى ان اقتران الحكم بما يشير الى سببه ادلُّ على تحقق وقوعه من ارساله بدونه . وأما قوله (وهم مقاتلوك وصادوك) فواضح انها ادل على التحقق من قوله (وهم سيقاتلونك ويصدونك) لدلالتها على الاتصاف بالقصد والاستعداد كما علمت ذلك فيما مرَّ

ثالثاً : الماضي ادل بطبعه من المضارع على تحقق الوقوع والمضارع ادل بطبعه من الماضي على استمرار الوقوع او تجدد حدوثه . والمضارع ايضاً يلمح بطبعه الى الزمان الماضي ويدل عليه اكثر مما يلمح الماضي الى زمان الحال او المستقبل ويدل عليه . وعليه فقولك (زيد احسنَ الى الفقراء) ادل على التحقق من قولك (زيد يحسن الى الفقراء) الاان استمرار تجدد حدوث الفعل مدلول عليه بلفظ (يحسن) اكثر كثيراً مما بلفظ (احسن) وفضلاً عن ذلك انه يفهم من لفظ (يحسن) كونه قد أحسن في الماضي اكثر كثيراً مما يفهم من لفظ (أحسن) انه سيحسن في المستقبل بل كثيراً ما تقول (زيد لا يحسن الى الفقراء) ونريد (انه ما احسن اليهم) والخلاصة ان المضارع قد يفهم منه الماضي مع الايماء الى المستقبل لاسيما بعد (لو) كقول التنزيل (ولو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) اي (لو اطاعكم) فانه مع افادته الدلالة على الماضي يفيد ايضاً الايماء الى ان ترتب الجواب على الشرط ثابت في المستقبل ايضاً . ولفظ المضارع ادل على هذه النكتة من لفظ الماضي كما يظهر عند التأمل والله اعلم

فصل في تاثير النفي في جملة المبتدا والخبر

لسهولة الكلام نقسم الخبر الى مفرد وجملة

الخبر المفرد

ولا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً آخر هو اما نفس المبتدا في المعنى او غيره يقصد تشبيه الخبر به واليك امثلة ذلك على ما مرَّ بك قبيل الآن

(١) زيد عندك (مكانه)

(٢) الاجتماع غداً (زمانه)

(٣) زيد مسافر او عالم (صفة من صفاته)

(٤) زيد اخوك (جامد نفس المبتدا في المعنى)

(٥) زيد اخوه او اسد (اي كاخيه او كالاسد)

ولا يخفى ان الاسناد في المثال الاول يراد به ثبوت الوجود لزيد مقيداً بالمكان فاذا دخل النفي عليه نفى القيد فقط دون الوجود المسند الى زيد وهو ظاهرٌ نحو «ما زيدٌ عندك» ومثله المثال الثاني الا ان الوجود مقيد بالزمان فينتفي الزمان بدخول النفي نحو «ما اجتماع الجمعية غداً» فان المنفي انما هو كون الاجتماع غداً لا مطلق وقوعه وهو ظاهر ايضاً. فاذا اجتمع الزمان والمكان معاً كقولنا مثلاً «ما اجتماع الجمعية عندك غداً» فالى مَ يتوجه النفي؟ قلنا لما كان كل من الزمان والمكان خبراً كان المتأخر منهما قيداً للآخر فيتوجه اليه النفي دون صاحبه فاذا قلت «الاجتماع غداً في بيت زيد» فقد اردت الاخبار

عن زمن الاجتماع وقيدته بالمكان فاذا نفيت فقلت « ليس الاجتماع غداً في بيت زيد » لم يكن المقصود من الجملة نفي الاجتماع غداً بل نفي انه غداً في بيت زيد وبالعكس اذا قدّمت المكان فان الزمان المتأخر يصبح قيداً له فيتوجه اليه النفي خاصة · بقي انه اذا ادخلت النفي على الزمان او المكان مقدماً على المبتدا كقولك « ليس غداً الاجتماع في بيت زيدٍ » فما المراد من الجملة حينئذٍ ؟ قلت المراد توجه النفي الى المتقدم تنصيصاً مع ارادة القصر قلباً او تعييناً اي ليس غداً الاجتماع في بيت زيدٍ بل بعد غدٍ اوفي زمان آخر واولى بمثل هذا الكلام ان يكون مع من ينازع ان الاجتماع في بيت زيد غداً وانت تعلم ان الاجتماع في بيت زيد لكن في غير ذلك الزمان فتقلب له حكمه من جهة الزمان · او لا يدري أغداً الاجتماع ام بعد غدٍ فتعينه له

واما الجملة الثالثة اي « زيدٌ مسافر او عالم » فيراد بها ثبوت الاتصاف لزيد بالسفر او بالعلم ولذلك فالنفي الداخل عليها يتوجه الى هذا الاتصاف فينفيه على انه قد يراد احياناً نفي الاتصاف عن المسند اليه واثباته لغيره الا ان هذا لا بد معه من قرينة يدل عليها الكلام على ما جاء في التنزيل « وما انت علينا بعزيز » والا انصرف النفي الى الاتصاف لا غير · واعلم ان حكم الصفة هنا حكم الفعل المسند الى الفاعل في انه اذا تقيدت الصفة بقيد من القيود انصرف النفي اليه كقولنا « ما زيد مسافراً اخوه » و « ما زيدٌ عالماً بالنحو » فاذا قيدت المثالين بقيد آخر زيادة على القيد الاول انصرف النفي الى القيد الزائد نحو « ما زيد مسافراً اخوه الى دمشق » و « ما زيد عالماً بالنحو كعمرو » وهكذا · واما المثال الرابع اي « زيد اخوك او اخو عمرو » فلا خفاء ان

المراد بالاسناد كونهما شخصاً واحداً فاذا انتفى الاسناد انتفى تساويهما ثبتت المغايرة بينهما وهو ظاهر · فاذا قلت « ليس زيدٌ اخاك » وانت تعلم انه اخوه فماذا يراد بالنفي حينئذٍ ؟ قلت لا يراد بالاخ حينئذ المعنى المجعول له وضعاً بل شيئاً من لوازم الاخوّة كالنصرة والمساعدة والوفاء المعهود بين الاخوة وهذا الشيء هو المراد اسناده في قولنا « زيد اخوك » فاذن ينتفي هذا المراد مع عدم انتفاء المعنى الوضعي للاخ ويكون المقصود من الجملة المنفية حينئذ « ان زيداً الذي هو اخوك لما كان لا ينصرك ولا يفي حق الاخوة لك فحكمه حكم الاجنبي لا الاخ » وهو ظاهر ايضاً عند التأمل

بقي المثال الخامس « اي زيد اخوه او اسد » ولما كان الاسناد لاثبات المشابهة لا جرم انتفت المشابهة بدخول النفي اي ان قولنا « ما زيد اخاه » مساو لقولنا « زيد لا يشبه اخاه » فاذا زيد قيد على هذه الجملة كقولنا « زيد اخوه في فعاله » انصرف النفي اليه وهكذا · فان قلت فكيف تصرف النفي الى المقال لوحده او الفعال لوحده في قولك « زيد اخوه في مقاله وفعاله » ؟ قلت اقول « زيد اخوه في مقاله لا في فعاله » او « في فعاله لا في مقاله » واتخلص من كل هذا التطويل والفلسفة

واعلم انه يمتنع في الخبر المفرد ان يتقدم عليه النفي دون المبتدا فلا يقال لغة « زيد ما في الدار » ولا « زيد ما مسافر » ولا « الاجتماع ما غداً » فان قلت يقولون « زيد ليس في الدار » و « ليس مسافراً » قلت يقدّرون (لليس) اسماً فيصير حكم المثال حكم « ليس زيد في الدار » والله اعلم

تأثير النفي مع الخبر الجملة

لا يخلو اما ان يكون الخبر جملة اسمية كقولنا « زيد لسانه فصيح » او فعلية كقولنا « المال يعز الذليل » وفي كل منهما كلام اليك هو

الجملة الاسمية

اذا قلت « زيد لسانه فصيح » كان في الجملة احتمالان اما الاوّل فارادة القصر (ومدلول هذه الجملة مع ارادة القصر مساوٍ لمنطوق قولنا زيد لسانه فصيح دون غيره او دون عمرو) وهذا الاحتمال لا بد من قرينة تدل على ارادته كدلالة المقام او غيرها واما الاحتمال الثاني فارادة مجرد الاخبار عن لسان زيد بالفصاحة مع انصباب الغرض الى اللسان كما مرَّ بك وهذا الاحتمال اولى من الاول عند فقد القرينة وينبغي صرف المعنى اليه

واذ مهدنا ما مهدنا نقول اذا دخل النفي على مثل هذه الجملة نحو « ما زيد لسانه فصيح » كان المراد على الاحتمال الاول ان فصاحة اللسان منفية عن زيد ثابتة لغيره واما على الاحتمال الثاني فلا يتعدى معنى الجملة نفي فصاحة اللسان عن زيد ويكون حكم (ما زيد لسانه فصيح) حكم (ما زيد فصيح اللسان) سوى ان الغرض منصب الى اللسان على ما علمته في الكلام عن الخبر الجملة

الجملة الفعلية

اذا قلت « ما المال يعزُّ الذليل » احتمل الكلام نفي الاعزاز عن المال مطلقاً او ارادة القصر او الاختصاص له والاحتمال الثاني اولى من بقية

الاحتمالات ولا يدل عنه الا لدليل او قرينة صريحة تمنع من ارادة القصر وذلك لاسباب

(اولاً) انه ورد في فصيح اللغة ونص عليه ايمتها كقول الرسول صلعم « ما انا حملتكم ولكن الله حملكم » وكقول المتنبي

وما انا أسقمتُ جسمي بهِ ولا انا اضرمتُ في القلب ناراً

اي بل غيري وكقوله ايضاً

وَما انا وَحدِي قُلتَ ذَا الشِّعرَ كُلَّهُ وَلكنْ لِشعرِي فيكَ منْ نَفْسِهِ شِعرُ

وكقول الآخر

امُرُّ عَلَى الدِّيارِ دِيارِ لَيلى فأُلثِمُ ذَا الجِدَارَ وَذا الجِدَارَا

وَمـا حبُّ الديار شَغَفْنَ قلبي وَلكن حبُّ مَن سكنَ الديارَا

(ثانياً) لو اردت في قولك « ما المال يعزُّ الذليل » مجرد نفي الخبر عن المبتدا لكان الاولى ان يقال « المال لا يعزُّ الذليل » بتقديم النفي على الخبر فقط او « لا يعزُّ المال الذليل » بصورة الفعل والفاعل وتقديم النفي على الفعل وترك هذه الاولوية من دون غرض ولا سبب عبث في كلام البلغاء فلا بد اذن من سبب لعدولهم عنها وليس هو سوى ارادة نفي الخبر عن المبتدا واثباته لغيره ، وهو المراد من القصر ، على ما تبين مما عقبوا به كلامهم كما رأيت في الامثلة المارة . فان قلت ان المحافظة على الوزن او حسن الرصف دعت الى التقديم المذكور قلنا ان وروده في الكلام المنثور نحو « وما انا حملتكم ولكن الله حملكم » لا يصح معه ادّعاء المحافظة على الوزن واما حسن الرصف فالذوق السليم شاهد على انه لا يراد هنا ولا من موقع له فان « ما انا حملتكم » ليس

فيها من حسن الرصف ما يزيد قولنا « ما حملتكم » او « ما حملتكم انا » كما لا يخفى على المتأمل

والخلاصة ان الخبر الفعلي اذا تقدم حرف النفي عليه وعلى المبتدا معاً كان المراد تخصيص الخبر بالمبتدا منفياً عنه ثابتاً لغيره الا اذا دلت قرينة صريحة على ارادة مجرد النفي لا غير واذا تقدم النفي على الخبر فقط كان المراد تخصيصه بالمبتدا منفياً عنه بقطع النظر عن ثبوته لغيره الاّ اذا دلت قرينة على الثبوت ولا بد من ان تكون صريحة والاّ فلا يعتد بها

فصل في (كل)[1]

كل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو (كل نفس ذائقة الموت) والمعرف المجموع نحو (وكلهم آتيه) واجزاء المفرد المعرّف نحو (كل زيد حسن) فاذا قلت (اكلت كل رغيف) كانت لعموم الافراد فان اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فردٍ واحد — وترد (كل) باعتبار كل واحد مما قبلها وما بعدها على ثلاثة اوجه اما اوجهها باعتبار ما قبلها (فاحدها) ان تكون نعتاً لنكرة او معرفة فتدل على كما له وتجب اضافتها الى اسم ظاهر يماثله لفظاً ومعنىً نحو (اطعمناهُ شاة كل شاة) وقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أُمَّ خالد

(والثاني) ان تكون توكيداً لمعرفة — او لنكرة محدودة وعليهما ففائدتها العموم ويجب اضافتها الى اسم مضمر راجع الى المؤكد نحو (فسجد الملائكة كلهم) قال ابن مالك وقد يخلفه الظاهر كقوله

كم قد ذكرتك لو اجدى تذكركم يا اشبهَ الناس كل الناس بالقمر

---

(١) وقد نقلناه عن مغني اللبيب وجه ١٦٤ طبع مصر سنة ١٣٠٢ لما رأينا فيه من الفائدة النحوية والبيانية وقد تركنا بعض ما يمكن الاستغناء عنه وهو مما لو ذكر لشوّش على كثيرين من الطلبة والقرّاء

ومن توكيد النكرة بها قوله

لَبِثْتُ حَوْلاً كاملاً كُلُّهُ لا نلتقي إلاَّ عَلَى مَنهجِ

(والثالث) ان لاتكون تابعة بل تالية للعوامل (قال العلامة الامير لعله اراد التلوّ المعنوي اي التاثر ليشمل الابتداء) فتقع مضافة للظاهر نحو «كلُّ نفس بما كسبت رهينة» وغير مضافة نحو « وكلاً ضربنا له الامثال »

واما اوجهها الثلاثة التي باعتبار ما بعدها (فالاول) ان تضاف الى الظاهر وحكمها ان يعمل فيها جميع العوامل نحو « اكرمت كل بني تميم » (والثاني) ان تضاف الى ضمير محذوف ومقتضى كلام النحويين ان حكمها كالتي قبلها ووجهه انهما سيان في امتناع التاكيد بهما و (الثالث) ان تضاف الى ضمير ملفوظ به وحكمها ان لا يعمل فيها غالبًا الا الابتداء نحو «إن الامر كله لله» فيمن رفع كلا ونحو « وكلهم آتيه »— (فصل) واعلم ان لفظ (كل) حكمه الافراد والتذكير وان معناها بحسب ما تضاف اليه فان كانت مضافة الى منكر وجب مراعاة معناها فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو « وكل شيء فعلوه في الزبر » و « كل انسان الزمناه » وقول ابي بكر وكعب ولبيد رضي الله عنهم

كلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أَهلِهِ وَالمَوْتُ ادنى من شِرَاكِ نعلِهِ
كلُّ ابْنِ أُنثى وإن طالَت سلامَتُهُ يوماً عَلَى آلةٍ حدباءَ محمولُ
أَلاَ كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زَائِلُ

وقول السموأل

إِذَا المَرْءُ لم يَدْنَسْ منَ اللؤمِ عِرضُهُ فكلُّ رِداءٍ يرتديهِ جَميلُ

ومفرداً مؤنثاً في قوله تعالى (كل نفسٍ بما كسبت رهينة كل نفسٍ ذائقة الموت)

ومثنى في قول الفرزدق

وكلُّ رَفِيقَيْ كلِّ رَحْلٍ وإِنْ هُما تعاطَى القَنَا قَوْماهُما أَخَوَانِ

ومجموعاً مذكراً في قوله تعالى (كل حزبٍ بما لديهم فرحون) وقول لبيد

وكلُّ أُناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بينهم دُوَيْهِيَةٌ تَصفَرُّ مِنها الأَنامِلُ

ومؤنثاً في قول الاخر

وكلُّ مُصِيباتِ الزَّمانِ وَجدتها سِوَى فِرقةِ الأَحبابِ هِينَةَ الخَطْبِ

وهذا الذي ذكرناه من وجوب مراعاة المعنى مع النكرة نص عليه ابن مالك ورده ابوحيان بقول عنترة

جَادَتْ عليهِ كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ فتركْنَ كلَّ حديقةٍ كالدِّرهمِ

فقال تركْنَ ولم يقل تركتْ فدل على جواز كل رجل قائمٌ وقائمون والذي يظهر لي خلاف قولهما وان المضافة الى المفرد إن أُريد نسبة الحكم الى كل واحدٍ وجب الافراد نحو (كل رجل يشبعه رغيف) او الى المجموع وجب الجمع كبيت عنترة فان المراد ان كل فردٍ من الاعين جاد وان مجموع الاعين ترك وعلى هذا فتقول (جاد عليَّ كل محسن فاغناني) او (فاغنوني) بحسب المعنى الذي تريده — وان كانت (كل) مضافة الى معرفة فقالوا يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها — والصواب ان الضمير لا يعود اليها من خبرها الا مفرداً مذكراً على لفظها نحو (وكلهم آتيه يوم القيامة) (الآية) وقوله تعالى فيما يحكيه عنه نبيه عليه الصلاة والسلام (ياعبادي كلكم جائع الا من اطعمته) الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام (كلُّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها . كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته وكلنا لك عبد) — ومن معناها الجمع فان قطعت عن الاضافة لفظاً فقال ابو حيان يجوز مراعاة اللفظ نحو (كلٌّ يعمل على شاكلته) — ومراعاة المعنى نحو (وكلٌّ كانوا ظالمين) والصواب ان المقدر يكون مفرداً نكرةً فيجب الافراد كما لو صرّح بالمفرد ويكون جمعاً معرّفاً فيجب الجمع وان كانت المعرفة لو ذكرت لوجب الافراد ولكن فعل ذلك تنبيهاً على حال المحذوف فيهما فالاول (كل يعمل على شاكلته كلٌّ آمن بالله كل قد علم صلاته وتسبيحه) اذ التقدير كلٌّ احد والثاني نحو (كلٌّ له قانتون كلٌّ في فلك يسبحون و كلٌّ آتوه داخرين و كلٌّ كانوا ظالمين) اي كلهم

مسئلتان ويهمنا الأُولى منهما

(الأُولى) قال البيانيون اذا وقعت (كلٌّ) في حيز النفي كان النفي موجهاً الى الشمول خاصة وافاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الافراد كقولك (ما جاء كل القوم) و (لم آخذ كل الدراهم) و (كل الدراهم لم آخذ) وقوله (وما كل رأي الفتى يدعوا الى رشد) وقوله (ما كل ما يتمنى المرء يدركه) وان وقع النفي في حيزها اقتضى السلب عن

كل فرد كقوله عليه الصلاة والسلام لما قال له ذو اليدين (أنسيت ام قصرت الصلاة كلُّ ذلك لم يكن) وقول ابي النجم

قد أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيارِ تَدَّعي عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لم أَصْنَعِ

وقد يشكل على قولهم في القسم الاوّل قوله (والله لايحب كل مختالٍ فخور) وقد صرّح الشلوبين وابن مالك في بيت ابي النجم بانه لافرق في المعنى بين رفع (كل) ونصبه وردّ الشلوبين على ابن ابي العافية اذ زعم ان بينهما فرقاً والحق ما قاله البيانيون والجواب عن الآية ان دلالة المفهوم انما يعوّل عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود اذ دلّ الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً. (انتهى ما اردنا نقله عن العلامة ابن هشام بلفظه مع بعض الحذف كما اشرنا)

فصل في ترتيب جملة المبتدا والخبر

علمت فيما مرّ ان المبتدا مقدم طبعاً على الخبر وانه هو الذي يخطر اولاً في الذهن ثم حكمه المتعلق به وعليه فالترتيب الغالب ان نذكر المبتدا اولاً ثم الخبر وهذا يكاد يكون مطرداً فيما اذا كان الخبر صفة للمبتدا. كزيد فاضلٌ. والادب حلية. والمعرفة قوةٌ. او جملة خبرية مسندة اليه كقوله

أَلعلمُ يبني بيوتًا لا عِمادَ لها وَالجَهلُ يهدِمُ بيتَ العِزِّ وَالحَسبا

وكقول الآخر

هُمُوا طَرَّفوا عنها بَايًّا فاصبحت بَلِيٌّ بَوادٍ من تِهامةَ غائرِ

وكقول الآخر

أَللهُ اعطاكَ الَّذي أُعطيتَهُ وَحَباكَ بالفضلِ الذي لا يُنكَرُ

وامثلة ذلك كثيرة

وكذلك اذا كان المبتدا اسم اشارة او ضميراً لمتكلم او لمخاطب فانه اول

ما يخطر حينئذٍ في الذهن ولذلك فيقدم لفظاً وفقاً لتقدمه ذهناً واليك بعض الشواهد على ذلك

ذِي المَعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعالى هَكذَا هكذَا وإلاَّ فلاَ لاَ

ونحو : هذا ابو الصَّقْرِ فَرْداً في محاسنِهِ من نسلِ شَيبانَ بينَ الضَّالِ وَالسَّلَمِ

ونحو : هذا المُعَدُّ لرَيبِ الدهرِ مُنصَلِتاً أَعَدَّ هذا لرَأسِ الفارسِ البَطَلِ

ونحو : انا الذي نَظَرَ الأَعمى الى أَدَبي وَأَسمعتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

ونحو : انا لائمي ان كُنتُ وَقتَ اللَّوائمِ عَلِمْتَ بما بِي بينَ تلكَ المَعالِمِ

ونحو : وَالهَجْرُ أَقتَلُ لي مِمَّا أُراقبُهُ انا الغَريقُ فما خوفي من البَلَلِ

ونحو : وَأَنتِ التي أَخْلَفتِني ما وَعدتِني وَأَشمتِ بي مَنْ كانَ فيكِ يلُومُ

ونحو : انتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكِ لكنْ (م) كِ عُوفِيتِ مِنْ ضَنىً وَاشتياقِ

ونحو : انتَ اعلَى محلَّةً أَنْ تُهَنَّا بِمكانٍ في الأَرضِ او في السَّماءِ

الى غير ذلك من الامثلة التي لا تحصى . ولو ان كل جملة مؤلفة من المبتدا والخبر بحسب الصناعة يراد بها مجرد الاخبار اوقصد افادة المخاطب حكماً بامر على آخر مجهول عنده لكان قلما يختلف الترتيب الذي ذكرناه الاَّ أنه كثيراً ما يراد بالمبتدا والخبر اظهار انفعالات نفسانية كالتعجب والاستعظام والدعا والمدح والذم واشباه ذلك من الاغراض المعنوية فضلاً عما يعرض من الاغراض اللفظية مما يدعو الى عكس الترتيب الذي ذكرناه وتقديم الخبر . ولو انه يتهيأ لكل منشئ بحرفة الادب ان يقف على كلام البلغاء ويوفيه حقه من التأمل والنظر لوكلنا الى حسن ذوقه معرفة المواطن التي يتقدم فيها المبتدا والمواطن التي يتقدم فيها الخبر . ولتعذر هذا على كثيرين رأينا ان نذكر

بعض الملاحظات يستعين بها المبتدي على معرفة بعض المواطن التي يتقدم فيها كلٌّ من المبتدا والخبر على الآخر واليك هي

ملاحظات على تقديم المبتدا

(١) قدم المبتدا اذا كان في تقديمه تشويق الى الخبر نحو « ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

وكقوله : وَالذِي حارَتِ البَرِيَّةُ فيهِ حَيَوَانٌ مُستحدَثٌ من جَمادِ

وكقول الآخر

إنَّ الَّتي زَعَمَتْ فُؤادَكَ مَلَّها خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقْتَ هوًى لها

(٢) قدم المبتدا اذا طال الخبر اما لتعدد الاخبار او لكثرة القيود في الخبر وسببه في الغالب ان الذهن يشق عليه توقفه في انتظار المبتدا ليسند اليه الخبر ولانه قد يغفل عن اوائل الخبر وارادة حملها على المبتدا كقولك « الادب آلة يستعين بها الفقير وحلية يتزين بها الغني » ونحو « أنتِ جميلةٌ يا حبيبتي كترصة حسنة كأُورشليم مرهبة كجيش بالوية » ونحو « عنقك كبرج داود المبني للأسلحة الف مجنّ علق عليه كلها اتراس جبابرة »

واعلم انه اذا طال الخبر وتعدد فكثيراً ما تقتضي البلاغة اعادة المبتدا لئلا يغفل الذهن عنه

(٣) قدم المبتدا اذا تقيد المبتدا باحد القيود التي يمكن ان يصدق الاسناد اليه بدونها كقولك « العلم وان ضاق بصاحبه الرزق خير من الجهل وان اتسعت بصاحبه كل أسباب الرّزق »

(٤) قدم المبتدا اذا كان الحكم المسند اليه عاماً او بمنزلة العام كقوله

وكُلُّ فتىً يُولي الجميلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مكانٍ يُنبِتُ العزَّ طَيِّبُ

وكقوله: وكثيرٌ منَ السُّؤالِ اشتياقٌ وكثيرٌ منْ ردِّهِ تعليلُ

وكقوله: ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ

وكقوله: ومُرادُ النفوسِ أصغرُ منْ أنْ تتعادى فيهِ وأنْ تتفانى

وكقوله: وأسرعُ مفعولٍ فعلتَ تغيُّراً تكلُّفُ شيءٍ في طباعكَ ضدُّهُ

وكقوله: وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ ولا كلُّ فعّالٍ لهُ بمتممِ

(٥) قدم المبتدا اذا كان الخبر مشبهاً به بعد كاف التشبيه كقوله «ليس التكحل في العينين كالكحل» وكقوله

وما صبابةُ مُشتاقٍ على املٍ منَ اللقاءِ كمُشتاقٍ بلا املِ

ما أوجهُ الحضرِ المستحسناتِ بهِ كأوجهِ البدوياتِ الرعابيبِ

والعمرُ كالكأسِ تُستحلى اوائلُهُ لكنَّه ربَّما مُجَّتْ اواخرُهُ

(٦) قدم المبتدا اذا خلا الذهن عنه وعن الخبر وهو كثير شائع وسببه ان الذهن ينتظر بطبعه الحكم بعد المحكوم عليه والخبر بعد المخبر عنه

(٧) لا تنس في تقديم المبتدا المواطن التي نص عليها النحاة في مطوّلاتهم

ملاحظات على تقديم الخبر

(١) قدم الخبر في مقام التعجب والاستعظام والمدح والذم والترحم والتقديس والتنزيه والدعاء واشباه هذه الاغراض التي يشف فيها الخبر عن انفعالات في النفس نحو «لله انت» «لله درُّك». «لله ما صنعت». «عظيمة هي اعمالك يارب». «عظيمةٌ هي ارطاميس الافسسيين». «نعم الرجل زيد». «نعم الداردار الاخيار وبئس الداردار الفجار». «ملعونة الارض بسببك».

« ملعون كل من ينتسب الى غير ابيه » . « مسكين ابن آدم ما اكثر امله واقل عمله » .

مساكينُ اهلُ العشقِ حتى قبورُهمْ عليها تُرابُ الذلِّ دونَ الخلائقِ

« مبارك انت يارب اله ابائنا » . « مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يديَّ القتال واصابعي الحرب » . « قدوسٌ قدوسٌ رب الصبأوت » . « متعال انت عن ادراكنا وبعيدة افكارك عن افكارنا وطرقك عن طرقنا » . « معمورة دارك » .

في ذِمَّةِ اللهِ من اصبحتِ منزلَهُ وَجادَ غَيثٌ على مَغناكَ يُمرِعُهُ
حَرامٌ عَلَيَّ قلبي السُّرورُ فإنني أُعِدُّ الذي ماتت بهِ بعدَها سُمًّا

(٢) قدم الخبر المشبه به اذا عقبته لفظة (هكذا) قبل ذكر المبتدا ولا يكون المشبه به ههنا الاَّ متعارفاً مشهوراً نحو « كالسوسنة بين الشوك هكذا حبيبتي بين البنات . كالتفاح بين شجر الوعر هكذا حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهيت ان اجلس وثمرته حلوة لحلقي » فانه الطف وابلغ من العكس كما لا يخفى على ذي ذوق سليم

(٣) اذا كان الخبر معلوماً او مشخصاً لدى المتكلم مسنداً الى فرد لا على التعيين من افراد موصوف نكرة او مخصص بوصف او اضافة كقوله

أَهْلُ ما بِيْ منَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيْ (م) دَ بتصفيفِ طُرَّةٍ وَبجيْدِ

وكقولهِ : مفرشي صهوةُ الحصانِ ولكنَّ قميصي مسرودةٌ منْ حديدِ

وكتمثيل النحاة « عندي كتاب وفي الدار رجل » وربما ينازع في (مفرشي) انها المبتدا والمتأمل يرى انها اولى بان تكون خبراً لان تشبيه صهوة الحصان بالمفرش أظهر وانسب من العكس

(٤) قدم الخبر في المواطن التي ذكرها النحاة في مطولاتهم وصرحوا انه يجب فيها تقديم الخبر وامثلة ذلك كثيرة قد عرفتها من النحو فلا حاجة بك لاعادة ذكرها

الترتيب بين متعلقات المبتدا والخبر

بقي ان نشير الى متعلقات المبتدا والخبر والترتيب بينها وهنا نقول ان الاصل ان يذكر المبتدا ومتعلقاته ثم الخبر ومتعلقاته او بالعكس كما رأيت في اكثر الامثال المارّة الا انه قد يمكن مخالفة هذا الترتيب فيتقدم بعض معمولات الخبر او كلها عليه وقد يتقدم بعضها او كلها على المبتدا ايضاً اما متعلقات المبتدا فقلما تقع بعد الخبر الا نادراً وفيما اذا كانت ظرفاً ايضاً لكن هذا التقديم والتأخير لا يكون غالباً الا لغرض كالمحافظة على الوزن او القافية او الفاصلة او لحسن الرصف ولا بدّ معه من المحافظة على منع الالتباس وتجنب التعقيد على ما مرّ بك في ترتيب الجملة الفعلية ولولا خوف الاطالة لاكثرنا لك من ضرب الامثلة على اننا مع ذلك نذكر لك المثال الآتي والتراكيب الجائزة فيه لتقيس غيره عليه (لا يذهب عليك ان باب النواسخ من قبيل المبتدا والخبر . (والمثال منقول عن كتاب المعاني والبيان للاب شيخو اليسوعي طبع بيروت) واليكه

«لا برحت شموس سعوده في دوائر النصر دائرة . واقمار اقباله في افلاك العز سائرة . وطوالع جده على الآفاق مشرقة . وكواكب مجده بنجوم السعد محدقة» . واليك التراتيب الممكنه الجائزة في الجملة الاولى مع بقاء المعنى على حاله من غير التباس ولا تعقيد

(ا) لا برحت شموس سعوده دائرة في دوائر النصر (ب) واقمار اقباله سائرة في افلاك العز

(٢) لا برحت في دوائر النصر شموس سعوده دائرة (ج) وفي افلاك العز اقمار اقباله سائرة

(٣) لا برحت في دوائر النصر دائرة شموس سعوده (د) وفي افلاك العز سائرة اقمار اقباله

(٤) لا برحت دائرة شموس سعوده في دوائر النصر (ه) وسائرة اقمار اقباله في افلاك العز

(٥) لا برحت دائرة في دوائر النصر شموس سعوده (و) وسائرة في افلاك العز اقمار اقباله

فهذه خمس صور ما خلا الصورة الاصلية وجميعها جائزة لعدم وقوع التباس او تعقيد في شيء منها اما اختيار احدى هذه الصور دون الاخرى فراجع الى ترجيح الكاتب وبه يظهر حسن ذوقه اذا كان بينها تفاوت . واعلم انك ايُّ ترتيب اخترت فيقضي عليك غاية للمطابقة ان تجري عليه في الجمل المعطوفة كما ترى في الاحرف الابجدية قبالة الارقام الهندية والله اعلم

فصل في حذف المبتدا وذكره

قبل ان نذكر لك شيئاً عن حذف المبتدا او ذكره لا نرى بدًّا من اعادة القول ان الاختصار مطلوب في اللغة وان تكليف الذهن للانتباه الى ما هو في غنى عن الانتباه اليه مخالف للبلاغة . ومن جهة اخرى نقول ان المطلوب باللغة في اكثر الاحيان تمكين الفكر في ذهن السامع لا مجرد نقله اليه كيف اتفق ولذلك فمجرد التعبير عن الفكر من دون مبالاة في كيفية ايصاله الى ذهن السامع وتقريره فيه ايجاداً لاثره المقصود في النفس على ما هي الغاية من التخاطب والتفاهم مخالف للبلاغة ايضاً فاذا كان ذكر المبتدا مثلاً لا يزيد في تقريره في النفس او لا فائدة من تقريره فيها وسيان من هذا القبيل ذكره

وحذفه فالاولى حذفه ما لم يكن هنالك غرض لفظي لذكره كالمحافظة على وزن او قافية وعلى العكس اذا كان المقصود تقريره في النفس لغاية من الغايات ولا يتأتى التقرير بدون اعادة ذكره امتنع حذفه وان وجد الف قرينة تدل على الحذف والمحذوف معاً والف غرض ايضاً من الاغراض اللفظية الداعية الى الحذف كالمحافظة على وزن او قافية او فاصلة او رعاية لمطابقة او حسن رصف فاعرف هذا

ثم نقول لك ايضاً ان الحكم على هذا الفكر او على هذا المبتدا انه يلزم ذكره لتقريره في الذهن وعلى ذاك انه لا يلزم جميع ذلك مما لا يمكن وضع ضابط له اصلاً والكلام فيه ضرب من العبث بل ذلك امر موكول الى حسن ذوقك لا يراجع فيه الا نفسك وبه يظهر فضل بلاغتك ومتانة تراكيبك ان خطاباً او كتابة وغاية ما هنالك انه يمكن لنا التنبيه الى بعض الاغراض التي يصح معها الحذف او الذكر اما ان هذه الاغراض متحققة في هذا الموقف دون ذاك فلا واليك بعض هذه الاغراض

الاغراض التي تدعو الى حذف المبتدا

اعلم اولاً انه لا يصح الحذف الا اذا وجدت قرينة تدل على المحذوف اما القرينة وتكون معنوية او لفظية فلا يمكن وضع ضابط لها بل تعرف من كل مقام بحسبه بخلاف الاغراض فانه يمكن التنبيه اليها واليك اشهرها على ما ذكره البيانيون

(١) احترازاً عن العبث في الكلام . ومعنى ذلك على ما ارى ان الذكر لا يزيد الكلام قوة ولا يساعد على سهولة الفهم كجواب من تسأله « الى اين

انت ذاهب » فيقول لك « الى المدينة » فان ذكر « انا ذاهب » من العبث في الكلام كما لا يخفى وارى منه قول القائل

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

فان التقدير لا يكون الا « هم نجوم » او « هولاء القوم نجوم » ولا فائدة من ذكر المبتدا هنا الا مجرد الربط والربط مفهوم كل الفهم من دلالة المقام عليه. وذهب الامام السيوطي الى ان الغرض هنا « صونه عن ذكرك له بلسانك تعظيماً له » ولا ارى موجباً لهذا التكلف والله اعلم

(٢) محافظة على وزن او قافية وقد اجتمع الامران في قول الشاعر

على أنني راضٍ بأن احمل الهوى وأخلص منه لا عليَّ ولا ليا

وهي اي عبارة « لا عليَّ ولا ليا » اصبحت من الكلام المتعارف حتى صار حذف المسند اليه فيها من قبيل الاحتراز عن العبث في الكلام . على انه قد يراد بالمسند اليه فيها مخصوص بعينه فيجب حينئذ ذكره كقولك مثلاً « ما عليَّ ما يقال ولا لي ما اقول »

(٣) الاحتراس من فوات الفرصة كقول الصياد « غزال » وارى ان الذكر هنا ايضاً من العبث في الكلام

(٤) اتباع العادة في الاستعمال كقولهم « رمية من غير رام » والجملة مثلٌ الآن واول من قالها الحكم بن عبد يغوث المنقري والقصة مشهورة الا ان الحذف وقع فيها ابتداءً للاحتراز عن العبث في الكلام كما لا يخفى

(٥) ومن اغراض الحذف على ما ذكر البيانيون تاتي الانكار والجحد

واختبار السامع هل يتنبه ام لا ولاختبار مقدار تنبهه هل يتنبه بالقرائن الخفية ام لا ١٠اه

ولكن هذه الاغراض تاتي في المخاطبات الشفاهية اكثر مما في الكتابة وفي المواقف الخاصة دون العامة فلا يصح للخطيب ان يوردها وهو يخطب على ملاء من القوم ولا للكاتب ان يأتي بها في كتاباته التاريخية ولا الوصفية ولا التعليمية بل لا يرى لها مقام الا على سبيل اللغز او التعمية ولذلك تركنا التمثيل لها لعدم جدواه ولو مثلنا لطال بنا الكلام على غير طائل والله اعلم

الاغراض التي تدعو الى ذكر المبتدا

واما ذكر المبتدا مع وجود قرينة يصح معها حذفه فلأغراض منها

(١) زيادة الايضاح والتقرير (عقود الجمان) كالآية «اولئك على هدىً من ربهم واولئك هم المفلحون»

(٢) قصداً للفخر ويغلب ذلك مع ضمير المتكلم كقول عمرو بن كلثوم

وَقَدْ عَلِمَ ٱلْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ ... إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا
بِأَنَّا ٱلْمُطْعِمُونَ اذَا شَتَوْنَا ... وَأَنَّا ٱلْمُهْلِكُونَ اذَا ٱبْتُلِينَا
وَأَنَّا ٱلْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا ٱلنَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَّا ٱلتَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا ... وَأَنَّا ٱلآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا

فاذا كان المبتدا مخاطباً او في حكمه كالمشار اليه فالغالب ان المقصود من تكراره زيادة مدح او تعظيم يتوسل بهما الى حمل المخاطب واشراكه في امرٍ يتخوف انحرافه عنه او معارضته له كقولك موجهاً الخطاب الى من هو اهلٌ له كزيد مثلاً ٠ «انت يا مولاي ساعدتنا في كذا وانت ساعدتنا في كذا وانت

صنعت بنا كذا وانت قلت لنا كذا وانت وانت الخ فحاشاك الا تمد يدك الان لمساعدتنا ونحن في اشد الحاجة اليها » . فان تكرار الخطاب مما يستخف المخاطب للاجابة ووعد المساعدة وصرفه عما كان ربما ينويه من المعاكسة والمعارضة كما يظهر للمتأمل وقد يكون ذلك للتشكي من المخاطب واستعتابه كقول ابن الدمينة في محبوبته أمامة

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي دَلَجَ السُّرَى ... وَجُونُ القَطَا بِالجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ
وَأَنْتِ الَّتِي قَطَّعْتِ قَلْبِي حَزَازَةً ... وَقَرَّحْتِ جُرْحَ القَلْبِ فَهْوَ كَلِيمُ
وَأَنْتِ الَّتِي احْفَظْتِ اَهْلِي فَكُلُّهُمْ ... بَعِيدُ الرِّضَى دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ

او للتعنيف والتقريع اما التعنيف فكقول أمامة المذكورة جواباً على ابن الدمينة

وَانْتَ الَّذِي اخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي ... وَاشْمَتَّ بِيْ مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَابْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِيْ ... لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَانْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ انَّ قَوْلاً يَكْلِمُ الجِسْمَ قَدْ بَدَا ... بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ الوُشَاةِ كُلُومُ

الاَّ انها لم يتهيأ لها تكرار الضمير انت كما تهيأ لابن الدمينة فان قلت فلماذا لم تقل في بيتها الثاني (وانت) كما قال ابن الدمينة وانتِ ؟ قلت لان معنى بيتها الثاني غير مستقل عن معنى بيتها الاوَّل فان اخلافه وعدها واشماته بها من كان يلومها فيه هو نفس ابرازها للناس وتركها لهم غرضاً ولو انها جاءت ببيت اخر مستقل في معناه تعنفه فيه على فعله لكان المرجح انها كررت ذكر الضمير انت ولكان التكرير واقعاً في محله وعليه ما عليه من رونق البلاغة

واما التقريع فلم اظفر له بشاهد لا لعدم وجوده بل لعدم اطلاعي

ولقلة ما بين ايدينا من الخطب المحفوظة واعني بالتقريع تعداد معايب الخصم من قرعهُ بالعصا اذا ضربهُ بها كقولك لمن تريد تقريعه «انت فعلت كذا وانت فعلت كذا وانت فعلت كذا» اذا كانت افعاله تلك معايب ومساءً

واما اذا كان المبتدا ضميراً لغائب فيراد من تكريره المدح والتعظيم في الغالب كقول بعض الفضلاء في الفضيلة :

«هذه هي الفضيلة التي حام حول وصفها الفلاسفة والعلماء والشعراء والخطباء منذ الوف من السنين بل هي التي تمثلت من قبل للذين سادوا وشادوا في بلاد النيل فعظموها وعبدوها وبنوا لها الهيا كل العظام الباقية آثارها حتى اليوم بهجة للناظرين ودهشة للباحثين وهي هي التي تراءت للامم النابغة على ضفاف دجلة والفرات فشادوا لها الهيا كل طباقاً ولم تزل انقاضها حيرة للناقبين بل هي هي التي دان اليوناني لسمو قدرها فحنى لها الهام خشوعاً في اكربوله الباهر وهي هي التي عنى الروماني فسجد لها خضوعاً في كابيتوله الفاخر» اه

ولا يذهب عنك ان لتكرار الضمير هنا فائدة اخرى وهي تنبيه الذهن لربط هذه المسندات بالفضيلة ولولاه لخيف من غفلة الذهن عنها وعدم انتباهه في رد هذه الاخبار اليها

فان قلت كيف جاء الفخر والمدح والتعظيم والتشكي والتعنيف والتقريع ؟ قلت جاء ذلك من قبيل الخبر فان الخبر اذا كان من المستحبات فاسناد المتكلم اياه الى نفسه يكون من قبيل الفخر كابيات عمرو بن كلثوم فاذا أُسند الى مخاطب او غائب انقلب الفخر الى مدح وتعظيم والمدح والتعظيم للمخاطب هدية ورشوة يستعان بهما على المساعدة كما يستعان بالهدايا والرشى فان كان الخبر

مما يؤلم فهو من المحب الطالب كابن الدمينة شكوى واستعطاف ومن المحبوب المطلوب كامامة لوم وتعنيف ومن غيرهما كالخصم مثلاً تقريع وتبكيت . فان قلت وما فائدة تكرار المبتدا ؟ قلت فائدته ان الذهن يصوره في كل مرة يذكر فيها مع الخبر فان كان لمتكلم او غائب تشخص لدى الذهن مقروناً بما نسب اليه في الخبر وفي هذا مأمن من ان يمرّ الذهن بالخبر من غير ان يسنده الى صاحبه او يصرفه ذهولاً الى خلافه وان كان المبتدا لمخاطب تنبه المخاطب في كل مرة يذكر فيها الى الهدية او الرشوة المهداة اليه في الخبر والله اعلم

(٣) الاستخفاف بالمبتدا حرصاً على تنفير السامع مما نسب اليه وعدم قبوله ولا يكون ذلك الا اذا كان المبتدا معرفة معيناً وممن رسخ في ذهن المخاطب حقارته او النفور منه وفقاً لقول المتنبي

وإني رأيتُ الضرَّ احسنَ منظراً وأهونَ من مرأى صغيرٍ به كِبْرُ

وكقول الخطيب الواعظ « ابليس يقول لكم كذا وابليس يقول لكم كذا وابليس يصوّر لكم كذا » الخ وعلى عكس ذلك قد يكرّر ذكر المبتدا رغبةً في حمل المخاطب على قبول الحكم المسند اليه وتقريره في نفسه لعظم شان المبتدا ورسوخ مكانته في القلوب كقول الواعظ ايضاً « كتاب الله يامركم بكذا وكتاب الله يأمركم بكذا » الخ . وكقول غيره « الامير امرني ان اقول لكم كذا والامير امرني ان اقول كذا » الخ وهو ظاهر للمتامل انما منعني من الاستشهاد له عدم توصلي الى اقوال الخطباء في امثال هذه المواقف لندرة ما هو منقول الينا عنهم (٤) الاستلذاذ بذكره كقول الشاعر

باللهِ يا ظَبياتِ القاعِ قُلنَ لنا ليلايَ منكنَّ ام ليلى منَ البشرِ

والفرق بين هذا الغرض والذي قبله انما هو في ان المبتدا « ليلى » على ما ترى والقائل قيس او من هو على شاكلته

(٥) الاحتياط لضعف الاعتماد على القرينة او على تنبه السامع او فهمه ويقع ذلك كثيراً فيما اذا تعددت الاخبار او طالت وخيف غفلة السامع في رد المسند الى صاحبه وقد المعنا اليه سابقاً

واعلم ان اغراض الذكر المارّة لا تختص بالمبتدا بل تكون فيه وفي غيره كالمفعول به والمجرور والمنادى والليب اذا احسن اعتباره لايخفى عليه المواضع اللائقة بها

فصل في المسند اليه على العموم

تعريف المسند اليه وتنكيره [1]

قال هذا الامام رحمه الله في شرح ارجوزته (وقد تركنا الابيات استغناء عنها بشرحها) . البحث الثالث في تعريفه وذلك لنكتٍ تظهر من جهة التعريف لانه اما بالاضمار وذلك لكون المقام للتكلم او الخطاب او الغيبة مثال الاول قوله

وَنحنُ التَّارِكونَ لِمَا سَخطنا ونحنُ الآخذُونَ لِمَا رَضينا

والثاني قوله: وَانتَ الذي اخلفتني ما وَعدتَني وَاشمتَّ بيْ مَنْ كانَ فِيكَ يلومُ

---

(١) هذا الفصل ننقله بحرفه عن عقود الجمان للامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي رحمهُ الله طبع مصر بالمطبعة الشرقية سنة ١٣٠٥ وجه ١٤ — ١٨

والثالث قول ابي تمام

بِيُمْنِ ابي إسحَقَ طالت يدُ الهُدَى وقامتْ قَنَاةُ الدينِ واشتدَّ كاهِلُهْ
هُوَ البحرُ منْ أيِّ النواحي اتيتَهُ فلُجَّتُهُ المَعْروفُ والجودُ ساحِلُهْ

والاصل في الخطاب ان يكون لمعين مفرداً او مثنى او جمعاً وقد لا يقصد به معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل نحو « فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك » فلا تريد به مخاطباً بعينه بل تريد ان أكرم او أحسن اليه فتخرجه في صورة الخطاب ليعم فان معاملته لا تختص بواحد دون آخر . ومنه قوله تعالى « ولو ترى اذ وقفوا على النار » ونحوه من الآيات اخرج في صورة الخطاب ليعم اذ المراد ان حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص براء دون آخر فلا يختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تتأتى منه الرؤية فله مدخل فيه . وكذلك حديث « بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » رواه ابن ماجة ونحوه من طرق التعريف العلمية وذلك لنكت . منها احضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسمه الخاص به فاحترز بعينه اي شخصه عن احضاره باسم جنسه وباسمه عن احضاره بضميره او اشارة او غيرهما مثال ذلك قوله تعالى « قل هو الله احد » ومنها الكناية عن معنى يصلح له العلم نحو « ابو لهب فعل كذا » كناية عن كونه جهنمياً . ومنه تعظيمه او اهانته لكونه من الاعلام المحمودة او المذمومة . ومنها التبرك بذكره والاستلذاذ به

من طرق التعريف كونهُ موصولاً وذلك لنكت . منها زيادة التقرير نحو « وراودته التي هو في بيتها » عدل عن اسمها وهو زليخا او راعيل زيادة

لتقرير المراودة بذكر السبب وهو كونه في بيتها وقال الفرزدق

أتحبسني بينَ المدينةِ والتي إليها رِقابُ الناسِ يهوى منيبُها

اي مكة وعدل زيادة للانكار مشيراً الى ان هذا المكان لا يصلح الا للانابة والخضوع لا للتجبر والعدوان . ومنها التفخيم نحو « فغشيهم من اليم ما غشيهم » . ومنها كون المخاطب لا يعلم من احواله شيئاً غير الصلة كقولك « الذي كان معنا امس رجل عالم والتي اهداها اليك فلان يعملة » وهي الناقة القوية الحمولة . ومنها استهجان ذكر الاسم اذا كان مما يستهجن وله صفة كمال كقولك « الذي يعلم الفقه رجل نبيه » ومنها تنبيه المخاطب على خطاءه كقوله

انَّ الذينَ ترَونهمْ أُخوانَكمْ يشفي غليلَ صدورِهمْ أن تُصرَعوا

ومنها الاشارة الى وجه بناء المسند على المسند اليه بان يذكر في الصلة ما يناسبه نحو « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » فان الاستكبار الذي تضمنته الصلة مناسب لاسناد « سيدخلون جهنم داخرين » الى الموصول وربما يكون ذريعة الى التعريض بتعظيم شأن المسند وهو الخبر نحو

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمُهُ أعزُّ واطولُ

فان ذكر الصلة التي هي سمك السماء مشعر بتعظيم المبنى عليه وهو البيت الذي بناه سامك السماء ورافعها او تعظيم غيره نحو « الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » فانه قصد تعظيم شان شعيب (عم) ونحو « الذي يرافقك يستحق الاجلال » والرفع فيه تعظيم المخاطب — وقد يكون ذريعة لسوى ما

ذكر كالاهانة نحو« الذي يرافقك يستحق الاذلال والصفع » وكالتسلية كقول ابي العلا

إنَّ الذي الوَحشةُ في دارهِ تؤنسهُ الرحمةُ في لحدهِ

والتشويق الى الخبر كقوله

والذي حارتِ البريَّةُ فيهِ حيوانٌ مستحدَثٌ من جمادِ

وذكر السكاكي والطيبي من نكت الموصولية ان تكون ذريعة الى تحقيق الخبر كقوله

إنَّ التي ضربَتْ بيتًا مُهاجِرَةً بكُوفةِ الجندِ غالتْ وُدَّها غُوَلُ

قال في الايضاح وفيه نظر لانه لا يظهر فرق بين الايماء الى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر واجاب ابن السبكي عنه بان الفرق واضح فان الايماء الى وجه بنائه ان يذكر ما يناسبه وتحقيقه ان يذكر ما يحقق وقوعه بأي نوع كان والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحقيقه واضح

من طرق التعريف كونه اسم اشارة وذلك لنكت · منها ان يقصد تمييزه اكمل تمييز لاحضاره في ذهن السامع حساً بالاشارة كقول الفرزدق في زين العابدين رضي الله تعالى عنه

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ قاطبةً هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ

وكقول ابن الرومي

هذا ابو الصقرِ فرداً في محاسنهِ من نسلِ شيبانَ بينَ الضالِ والسلمِ

ومنها التعريض ببلادة المخاطب وغباوته حتى انه لا يتميز له الشيء الا بالاشارة اليه كقول الفرزدق يخاطب جريراً

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

ومنها بيان حال المشار اليه من قرب او بعد كقولك للقريب « هذا زيد » وللبعيد « ذلك زيد » وذكر في التلخيص وغيره التوسط وتركته لان المختار عندي تبعاً لسيبويه وابن مالك انه ليس لاسم الاشارة الا مرتبتان وان مشينا على طريق اهل البيان امكن دخوله في العبارة . ومنها قصد تحقيره بقربه كقوله تعالى حكاية عن الكفار « اهذا الذي يذكر الهتكم » ومنها قصد تعظيمه بالبعد نحو « ذلك الكتاب » ومنها قصد تحقيره بالبعد نحو « ذلك اللعين فعل كذا » ومثله الطيبي بقوله تعالى « فذلك الذي يدعُّ اليتيم » . ومنها التنبيه بعد ذكر المشار اليه باوصاف قبله على انه جدير بما يرد عليه من اجلها نحو « اولئك على هدى » الاية فذكر الاوصاف بعد الذين ونبه باسم الاشارة على ان المشار اليه وهو (الذين) جدير بذلك . ومنها ان لا يكون طريق الى معرفة المسند اليه الا باسم الاشارة وهذا من زيادتي وقد ذكره السكاكي في المفتاح وبقي من النكت قصد تعظيمه بالقرب نحو « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم »

التعريف بالالف واللام يكون لنكت . منها الاشارة الى معهود اما لفظاً نحو « فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كما ارسلنا الى فرعون رسولاً فعصي فرعون الرسول » او تقديراً نحو « وليس الذكر كالانثى » اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت والذكر في قوله اني نذرت لك ما في بطني محرّراً لاستلزام التحرُّر بالذكر اذ لم يكونوا ينذرون تحرير الاناث او حساً وهو مبصر كقولك لمن سدد سهماً القرطاس او علماً نحو « اذ هما في الغار بالواد

المقدس . اذ يبايعونك تحت الشجرة » ومنها الاشارة الى نفس الحقيقة نحو « الرجل خير من المرأة » اي حقيقة الرجل من حيث هي وقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شي حي » وقول ابي العلا

وَأُخِلُّ كالماءِ يُبدِي لي ضَمائرَهُ مَعَ الصَّفاءِ ويُخفيها مَعَ الكَدَرِ

وقد يراد بها واحد باعتبار عهديته في الذهن كقولك « ادخل السوق حيث لا عهد » فان الدخول انما يكون في سوق واحد وكذا قولك ابتداءً « دخلت السوق في بلد كذا » وهذا في المعنى كالنكرة اذ لم يكن لمعين يعرفه المخاطب فصار شائعاً بحسب الظاهر ولهذا يوصل بالجمل قال تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » وقال الشاعر

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيتُ ثُمَّةَ قُلتُ لا يَعنِينِي

ومنها استغراق الافراد اما حقيقة كعالم الغيب والشهادة اى كل غيب وكل شهادة او عرفاً نحو جمع الامير الصاغة اي صاغة بلده لا كل صاغة ثم الاستغراق في المفرد اشمل من الجميع ولذلك كان قولك لا رجال في الدار يصدق اذا كان فيها رجل اورجلان بخلاف قولك لا رجل فيها فان قيل افراد الاسم يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد فيتنافيان فالجواب ان الحرف انما يدخل عليه عند ارادة الاستغراق مجرداً مقطوع النظر عن الوحدة والتعدد

تعريفه بالاضافة لنكت . منها ان تكون اخصر طريق والمقام يقتضي الاختصار كقوله

هَوَايَ مَعَ الرَّكبِ اليَمانِينَ مُصعِدٌ جَنِيبٌ وجُثْمانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

فانه اخصر من قوله الذي اهواه او الذي قلبي اليه مائل والمقام مقتضٍ لذلك

فان جعفر بن علبة قاله حين حبس بمكة وحال المحبوسين ضيق و بعده

عَجِبتُ لمسراها وأنّى تخلّصتْ إليّ وبابُ السِّجنِ دُوني مُغلَقُ

ومما يدخل في الاختصار ان يغني عن تفصيل كقوله

اولادُ جَفنَةَ حولَ قبرِ ابيهمِ قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ

فانه لو عددهم لطال · ومنها تعظيم المضاف اليه نحو عبدي فعل كذا تعظيماً لك بان لك عبداً او المضاف نحو ان عبادي ليس لك عليهم سلطان — او خلاف هذين كقولي (اشارة الى ما في ابيات الارجوزة) عبد امام المسلمين عندك لتعظيمك بحضور عبد الخليفة عبدك · ومنها التحقير كقولك عبد الحجام حضر

ومنها الاستغراق ولم يذكروه قال ابن السبكي عجبت من اهل هذا الشان كيف لم يذكروا ارادة الاستغراق من الاضافة وهي من ادوات العموم كما ان اداة التعريف كذلك بل عموم الاضافة ابلغ ومنها الاشارة الى مجاز لطيف كقوله

اذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسُحرَةٍ سُهيلٌ اذاعتْ غزلَها في القرائبِ

اضاف الكوكب الى الخرقاء يعني انها تنام الى طلوعه وقت الصبح فعند ذلك تشعر بالبرد فتفرق غزلها على القرائب ذكره السكاكي · ومنها الترقق ذكره السكاكي ايضاً كقولك محبك على الباب

البحث الثالث في تنكيره وذلك لامور منها الافراد نحو « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى » اي رجل واحد · ومنها النوعية بان يراد به نوع مخالف للانواع المعهودة نحو « على ابصارهم غشاوة » اي نوع غريب من الغشاوة لا

يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات . ومنها تعظيمه بمعنى انه اعظم من ان يعين . ومنها التحقير بمعنى انحطاط شانه الى حد لا يمكن ان يعرف واجتمعا في قوله

لهُ حاجبٌ عن كلِّ امرٍ يَشينهُ وليسَ له عن طالبِ العُرْفِ حاجبُ

اي له حاجب عظيم وليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم . ومنها التكثير بمعنى ان ذلك الشيء كثير حتى انه لا يحتاج الى تعريف نحو « ان له لإبلاً وان له لغنماً » وقوله تعالى « قالوا ائن لنا لأجراً » . ومنها التقليل نحو « ورضوان من الله اكبر » اي رضوان من الله قليل اكبر . وقد يجتمع التعظيم والتكثير نحو « فقد كذّب رسل من قبلك » اي رسل عظام ذوو عدد كثير . وقد ينكر غير المسند اليه للتعظيم نحو « فأذنوه بحرب من الله » وللتحقير « نحن ان نظن الا ظناً » وللنوعية والافراد واجتمعا في قوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء » ولقصد العموم بعد النفي لان النكرة في سياق النفي تعم وهذا وما بعده من زيادتي . وللتجاهل وايهام انك لا تعرف شخصه كقولك « هل لكم في حيوان على صورة انسان يقول كذا » او ان لا يعرف المتكلم والسامع من حقيقته غير ذلك . (انتهى بلفظه)

انواع المسند اليه

المسند اليه المبتدا او الفاعل يتبع او يقيد لاغراض نشير اليها تنبيهاً للمطالع فمنها تقييده بالوصف او بالحال والغرض من ذلك مع غير الاعلام قد يكون

(١) لتصحيح الاسناد بالنظر الى المعنى كقولك « الحيوان الناطق سيد المخلوقات الارضية » فانه لولا قيد النطق لكان الاسناد فاسداً وبعبارة اخرى كانت

القضية عارية عن الصحة كما لا يخفى ومثل ذلك قول المتنبي

وَالْغِنى في يدِ اللَّئيمِ قبيحٌ قَدْرَ قُبحِ الْكريمِ في الإملاقِ

فانه لولا قيد الحال (في يد اللئيم) لفسد معنى الاسناد لان الغنى لا يقبح على الاطلاق انما يقبح في يد اللئيم . ومثله قولنا « العالم المخالف لمقتضى علمه شرٌّ من الجاهل » فانه لولا قيد المخالفة لمقتضى العلم لفسد المعنى في الاسناد فقس عليه امثاله

(٢) للكشف عن امرٍ تخصيصاً له فتكون فائدة الاسناد اتم . وبياناً لكون ما نسب اليه من القول او الفعل حرياً بأن يصدر عن مثله نحو « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الخ » فان هذه النعوت كشفت من امر الرجل فكان الاسناد معها اتم فائدةً منه بدونها ثم ان انكاره على آل فرعون ما هموا به من قتل الرجل للسبب الذي ذكره وتقبيحه عليهم هذا القصد حريٌّ بأن يصدر عن رجل موصوف بالايمان ولو ترك من غير هذا القيد لتبادر الى الذهن السوءال عن غاية هذا الرجل في اقدامه على مخالفة قومه محاماة عن رجل لا يعرفه ولاستغربَ منه صدور هذه المحاماة كل الاستغراب فكفى قيد الوصف هذه المؤونة كلها

(٣) قصداً للتعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد كقولك تعريضاً في رجل نصب للفتوى وهو ليس من ذويها « الرجل البخيل الذي يميل مع هوى النفس لا يصلح للفتوى » فان في الوصف بالبخل والميل مع هوى النفس ما فيه من التعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد

(٤) قصداً لتعظيم احد متعلقات الفعل غير الفاعل او لتحقيره فضلاً عن جعل الاسناد اتم فائدة بالوصف كقولك «اليوم زارني رجل من اعاظم العلماء» وكقولك «لا ترى في دار زيد غير الخليع الماجن او المنافق المداهن» وغير ذلك من الاغراض التي لا يخفى على اللبيب ان يلحظها في الكلام البليغ ولا يفوته ان يودعها كلامه في المقامات اللائقة بها

واما مع الاعلام فالغرض من الوصف الايضاح او رفع الاشتراك نحو «وقال ابراهيم الخليل» او التفصيل بياناً للواقع «كجاء زيد راكباً» مثلاً والاّ فلمدح المسند اليه او ذمه او تعظيمه او تحقيره او للترغيب فيه او للتنفير منه وبلاغة المتكلم انما تكون في اختيار الوصف المناسب لاحد هذه الاغراض المارّة وهذا من اسرار البلاغة الموقوفة على حسن الذوق وذكاء الطبع لا على التعليم والتلقين

توكيد المسند اليه

يؤكد المسند اليه اما بتكرار لفظه والغرض من ذلك التقرير او رفع توهم المجاز واما بواسطة النفس والعين وكل وكلا وكلتا وجميع وما في معناها والغرض من ذلك رفع توهم المجاز مع النفس والعين ورفع توهم عدم ارادة الشمول مع ما سواهما وكل ذلك مبسوط في كتب النحاة الا ان العلاّمة ابن الاثير عقد باباً في توكيد الضميرين نورد منه بحرفه ما لا مجال فيه للاعتراض عليه قال :[1]

«ان قيل في هذا الموضوع ان الضمائر مذكورة في كتب النحاة فاي حاجة

(١) المثل السائر طبعة بولاق صفحة ٢٦٣

الى ذكرها ههنا ولم نعلم ان النحاة لا يذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحةٍ وبلاغةٍ واولئك لا يتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وان المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك واما انا فاني اوردت في هذا النوع امراً خارجاً عن الامر النحوي واعني بقول توكيد الضميرين ان يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك (انك انت) او يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك (انت انت) او يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك (انك انك لعالم انك انك لجواد) وانما يؤتى بمثل هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من اسرار علم البيان . ولنقدم في ذلك قولاً يحصره ويجمع اطرافه فنقول : اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس فانت بالخيار في توكيد احد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذٍ ان يؤكد احد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقريره وتثبيته فمما جاء من ذلك قوله تعالى (قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين) فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما في انفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما (نكون ونحن) دل ذلك على انهم يريدون التقدم عليه والالقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله ان كانوا قالوا (اما ان تلقي واما ان نلقي) لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن انفسهم (واما ان نكون نحن الملقين) استدل بهذا القول على رغبتهم في الالقاء قبله (—) واما توكيد المتصل بالمنفصل فنحو قوله تعالى (فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى) فتوكيد الضميرين ههنا في قوله تعالى انك انت الاعلى

انفى للخوف من قلب موسى واثبت في نفسه للغلبة والقهر ولو قال (لا تخف انك الاعلى او فانت الاعلى) لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف ما لقوله انك انت الاعلى (في هذه الكلمات الثلاث) وهي قوله انك انت الاعلى ست فوائد» (ذكرها هذا العلامة فراجعها في محلها ثم قال بعد ان فرغ من تعدادها)

«وربما وقع لبعض الاغمار ان يعترض على ما ذكرناه في توكيد احد الضميرين بالآخر فيقول لو كان توكيدهما ابلغ من الاقتصار على احدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو اولى بما هو ابلغ واوكد من القول . وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها احد الضميرين دون الآخر كقوله عزّ اسمه (قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) ولم يقل انك انت على كل شيء قدير فما الواجب لذلك ان كان توكيد احد الضميرين بالاخر ابلغ من الاقتصار على احدهما ؟ الجواب عن ذلك انا نقول : قد قدمنا القول في اول هذا النوع انه اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخيرٌ في توكيد احد الضميرين بالآخر فان اكد فقد اتى بفضل بيان وان لم يوكد فلان ذلك المعنى ثابت لا يفتقر في تقريره الى زيادة تاكيد كهذه الآية المشار اليها وهي قوله تعالى اللهمّ مالك الملك فان العلم بان الله على كل شيء قدير لا يفتقر الى تاكيد يقرره وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية موكداً كقوله تعالى (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما

في نفسك انك انت علام الغيوب) فوكد في هذه الاية ولم يوكد في الآية الاخرى وقد عرفتك الطريق في ذلك واما اذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى ان يوكد بالضميرين في الدلالة عليه كقوله تعالى (قلنا لا تخف انك انت الاعلى) فان موسى لم يكن متيقناً انه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضميرين ليكون ابلغ في تقرير ذلك في نفسه » (انتهى ما نقلناه عن هذا العلاّمة بحرفه)

واما توكيد المنفصل بمنفصل فقد اشتبه فيه على هذا العلامة كما يؤخذ من امثلته فانها ليست من باب التوكيد على ما هو ظاهر من اعرابها انما هي من الاخبار عن المبتدا المعرفة بلفظه فانه استشهد بأبي تمام حيث يقول

لا انتَ انتَ ولا الديارُ ديارُ خفَّ الهوَى وتولَّتِ الأوطارُ

وبأبي الطيب حيث يقول

قَبيلٌ أَنتَ انتَ وأَنتَ منهمْ وَجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمامُ

وبما جاء في كتاب الاغاني لابي الفرج في خبر عمرو بن ربيعة وزياد بن الحبولة وما كان من قول الثاني للاول « لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم » والامثلة جميعها هي من باب المبتدا والخبر لا من باب التوكيد كما ترى . والذي يظهر لي ان توكيد المنفصل بمثله يكثر في الخطب والمشافهات ويقل جداً في الكتب والمراسلات وذلك لان الصوت ينبه النفس ويوصل اليها من انفعالات المتكلم ما لا يتنبه له بمجرد رؤية صورة اللفظ فالواعظ او الخطيب في القوم مثلاً يتاتى له ان يقول « انتم انتم الذين انقدتم الى زخرف الدنيا » او ان يقول « انتم انتم الذي بدأتم بهذا العمل المجيد

وانتم انتم اولى باتمامه من جميع الناس» فيؤدي بغتة صوته عند لفظ الضمير في المثال الاوّل من الاستكراه ومواجهتهم بالانكار ما لا تتفطن النفس لمثله برؤية صورة الضمير مكرراً وفي المثال الثاني من الاستحسان ومواجهتهم بالاعتراف بحسن الصنع ما لا يعرف مقداره الاّ من سمع كلام الخطيب ورؤية وجهه. وكذلك فيما لو قال « نحن نحن المصريين شدنا في غابر الايام ما لم يشده غيرنا من الامم » او « هم هم (اعني اسلافنا) مصروا الامصار واختطوا المدن وسنوا الشرائع والاحكام »

واما الاخبار عن المبتدا المعين بلفظه على ما رايت في الامثلة التي ذكرها العلامة ابن الاثير وكقولك « زيد زيد » « ووادي وادي » فيعتبر فيه ثلاثة اعتبارات لا تتهيأ في الاخبار بغيره مع البلاغة المرادة في الكلام

(١) البقاء والاستمرار على الحالة التي كان عليها كقول الكتاب « يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى الابد » اي يسوع المسيح باق لا يتغير الخ الا ان الاخبار بقولنا (هو هو) فيه من المبالغة والايجاز ما يشهد لنفسه

(٢) ان المبتدا متصف بصفة بالغة مبالغها بحيث لا تماثل بغيرها ولا يليق الاخبار عنها الا بها كقوله « لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم » اي لكانت شجاعتكم او شدتكم بالمكان الذي لا يعرف الا بكم

(٣) مجموع الاعتبار الاول والثاني كقول الامام ابن الفارض رحمه الله

فغرامي القديمُ فيكمُ غرامي ووَدادي كما عَهِدتُم وَدادي

اي ان كلاً من غرامي ووادي باقٍ لا يتغير وهو ايضا بالمكان الذي لا يشبه بغيره ولا يرى الاخبار عنه الا بنفسه والله اعلم

تقييد المسند اليه بعطف البيان او البدل او العطف

جاء في عقد الجمان للمرحوم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي في فصل اتباع المسند اليه وفصله ما نصهُ واما بيانه فلايضاحه باسم مختص به نحو « قدم صاحبك عثمان » واما الابدال منه فلزيادة التقرير نحو « جاء اخوك زيد » في بدل الكل و « سقط البيت جانبه » في بدل البعض و « راعني الفارس رمحه » في بدل الاشتمال واما بدل الغلط فلا يقع في كلام البلغاء . واما العطف عليه فلتفصيله مع اختصار نحو « جاء زيد وعمرو » او لتفصيل المسند كذلك نحو « جاء زيد ثم عمرو » فان في الاول تفصيلاً للمسند اليه بكونه متعدداً وفي الثاني تفصيلاً للمسند بكونه واقعاً على الترتيب او لرد السامع الى الصواب نحو « اتى زيد لا عمرٌو » او صرف الحكم عن المحكوم عليه الى آخر نحو « جاء زيد بل عمرو » او الشك او التشكيك نحو حضر زيد او عمرو (وقال ايضاً) واما فصله بالعماد فلتخصيصه بالمسند منفرداً به نحو « اولئك هم المفلحون » او لتوكيد الحكم نحو « ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله » (انتهى بحرفه)

والذي ذكره هذا العلامة انما هو خلاصة ما ذكره اصحاب هذا الفن في كتبهم المعروفة والمتداولة بين الايدي الا اني اقول ان على الكاتب مراجعة ما لحروف العطف من المعاني وما انفرد به كل منها عن غيره في شرح ارجوزته (نار القرى) او في المصنفات التي من طبقتها فان معرفة ذلك لا بد منها للكاتب ليحسن استعمال هذه الحروف في مواقعها اللائقة بها وهو اذا عرف معانيها فقد يهتدي الى كثير من الاغراض البيانية المرادة من العطف بها

واعلم ان التقييد بعطف البيان والبدل قد يؤدى به اغراض اخرى غير ما ذكر فانظر الى بيت المتنبي حيث يقول

يُفدّي أتمَّ الطير عُمْراً سلاحَهُ نُسورُ الفلا أحداثُها والقشاعمُ

ترَ صحة ما ذكرنا فان نسور الفلا عطف بيان على اتم الطير عمراً وهو من قبيل الايضاح بعد الابهام وقد تم له غرض آخر غير ارادة الايضاح بعد الابهام وهو وصف النسور بانها اطول الطير عمراً على اخصر طريقة واوقعها في النفس ولو عدل عنه الى صريح الوصف فقال « يفدّي سلاحه النسور التي هي اتمُّ الطير عمراً » لنقص من حسن الكلام ورونقه ما يدرك ببديهة الذوق وقد ابدل ايضاً احداثها والقشاعم من نسور الفلا فتهيأ له بذلك الدلالة على الشمول وتهيأ له مع هذا غرض آخر بمكان من الدقة والحسن وهو ان الاحداث والمتقدمات في السن تساوت في تفدية سلاحه وذلك لان احسانه اليها كان من الشهرة والوضوح بحيث ادركته صغارها وكبارها معاً . ومثل قول المتنبي قول ابي العلا

ألا في سبيلِ المجدِ ما انا فاعلُ عفافٌ وأقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

فانه اوضح بعد الابهام وعليه القول المتعارف « اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال »

واعلم ان اكثر اغراض اتباع المسند اليه لا تختص به وحده بل تجري في غيره من الكلام ايضاً كالمفعول به والمضاف اليه والمجرور واليك قوله

ديوانُ منْ حازَ الرّشا (م) قةَ في الكلامِ ابي نوّاسِ

فان « ابي نواس » بيان للموصول او بدل منه وفيه الايضاح بعد الابهام كما لا يخفى

فصل المسند اليه

والمراد بذلك ان يتوسط بينه وبين الخبر ضمير الفصل على ما تراه مبسوطاً في شرح ارجوزة المرحوم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي (ضمير الفصل وكاف الخطاب) وخلاصة هذا الفصل ان اصل استعمال هذا الضمير انما كان للتفرقة من اول الامر بين الخبر والتابع الا انهم توسعوا فيه حيث لا يقع الالتباس المذكور . وشرط استعمال هذا الضمير اذا كان للفصل ان يقع بين المعرفتين كقولك « زيدٌ هو الكريم » و « كانت بابل هي المدينة الاولى » او ما هو شبيه بالمعرفتين كقولك « ليس احد هو احسن من زيد » فاذا أُريد به التخصيص او التوكيد لا الفصل نحو « ولكن كانوا هم الظالمون» ونحو « انك انت علاّم الغيوب » و « اخي هرون هو افصح مني لساناً » لم يحتج الى شرط التعريف المار ذكره وقد يحتمل في هذا الضمير احياناً اجتماع الاغراض الثلاثة نحو « واولئك هم المفلحون» فانه يحتمل الفصل والتخصيص والتأكيد . وهو بجملته لا يقع الا بين المبتدا والخبر في الحال او في الاصل والخبر بعده يكون غالباً مصحوب (ال) او (افعل التفضيل) والمهم في البلاغة الاتيان بهذا الضمير عند الحاجة اليه سواء كان الغرض به الفصل او التخصيص او التاكيد فلا يشتبه عليك مواقع استعمالهِ فان الاتيان به حيث لا داعٍ اليه من المخلات بمقتضى البلاغة فراجعه في بابه الذي ذكرناه واعتبر مع ما تراهُ هناك ما نقلناهُ من كلام العلاّمة ابن الاثير في باب التوكيد بالضميرين

فصل في القصر

القصر تخصيص شيء بآخر كقولك « وكان الجمع ما يزيد عن الخمسين رجلاً فما تكلم احدٌ منهم الاَّ زيدٌ » اي اختص الكلام بزيد فلم يتجاوزه الى غيره من الخمسين وكقولك « لا الهَ الاَّ الله » اي ان الالهية مختصة بالله تعالى لا تتجاوزه الى غيره اصالة وكذلك قولك « ما خاطبَ الامير احداً من الجمع الاَّ زيداً » اي اختصت مخاطبة الامير بزيد لم تتجاوزه الى غيره من ذلك الجمع والمقصور في الجملة الاولى (التكلم) والمقصور عليه (زيد) وكذلك في الثانية فانَّ (الالهية) المقصور (والله) المقصور عليه وهكذا في الثالثة فان المقصور (مخاطبة الامير) والمقصور عليه (زيد)

انواع القصر

القصر نوعان حقيقيٌّ وهو ما لا يتجاوز فيه المقصور الى غير المقصور عليه اصلاً كقولك « لا اله الا الله » فان الالوهية وهي المقصور لا تتجاوز اصلاً الى غير الله تعالى وهو المقصور عليه وبعبارة اخرى انه لا يتصف بها احد سواه

ويلتحق بالقصر الحقيقي القصر على سبيل المبالغة كقول الشاعر

لا سيفَ إلاَّ ذو الفَقا (م) رِ ولا فتىً الاَّ عَلِيُّ

والمعنى ان ذا الفقار بالغ صفة تراد بالسيف الى حدٍّ لا يشاركه فيه غيره من السيوف وكذلك الفتوَّة في عليٍّ فانها بالغة الى حد لا يشاركه فيه احدٌ من الفتيان وبناءً على هذا الاعتبار قصرنا اسم السيف على ذي الفقار واسم الفتى على عليٍّ مبالغة كانه لا يجوز ان يسمى سيفاً الا هذا ولا فتى الا

ذاك والفرق بين هذا القصر والقصر الحقيقي واضح ويزداد وضوحاً في قولك «لا شاعرٌ الا زيدٌ» وفي قول المتنبي

ليسَ إلاَّ أبا العشائرِ خَلْقٌ سادَ هذا الأنامَ بأستحقاقِ

فاننا اذا اعتبرنا القصر حقيقياً في المثال الاول كان المعنى ان صفة الشاعرية لا توجد في غير زيد اصلاً بخلاف ما اذا اعتبرناه على سبيل المبالغة فان المعنى حينئذٍ ينصرف الى اننا، مبالغة لكمال هذه الصفة في زيد، اعتبرناها كانها لا توجد في غيره فقصرناها عليه واما قول المتنبي فالمبالغة ظاهرة فيه ولو اراد الحقيقة لعتب عليه ممدوحه سيف الدولة وغيره من بقية الممدوحين

والنوع الثاني اضافي وهو ما لا يتجاوز فيه المقصور الى معين غير المقصور عليه وان كان يمكن ان يتجاوزه الى غير ذلك المعين ولنضرب لك مثلاً نبين فيه معنى هذا الحد فنقول · اذا دار بينك وبين غيرك كلام في الشعراء فزعم غيرك ان زيداً وعمراً كلاهما شاعر وزعمت انت ان احدهما شاعر دون الآخر واردت افراده فانك تقول حينئذٍ (ما شاعرٌ الاَّ زيدٌ) اي الشاعرية لا تتجاوز زيداً الى عمروٍ وان امكن ان تتجاوزهُ الى غيره ممن لم يدخل في مدار الكلام بينكما فهذا هو القصر الاضافي ومرجعهُ منظور فيهِ الى اعتقادك واعتقاد المخاطب لا على الاطلاق وهو من هذه الحيثية يقسم الى ثلاثة اقسام يعرف كلٌّ منها باسم مختص بهِ عند البيانيين فاحدهما (قصر افراد) وهو ما ذكرناه والثاني (قصر تعيين) كما اذا كان المخاطب يردّدُ الشاعرية بين زيد وعمروٍ لا يدري ايهما متصف بها فقلت له ما شاعرٌ الا زيد والثالث (قصر

قلب) كما اذا كان يعتقد ان الشاعر عمرٌو وتعلم انت ان الشاعر زيد لا عمرو فقلت « ما شاعر الاَّ زيد »

انواع المقصور

المقصور نوعان اما صفة على موصوف كقولك « لا الهَ الاَّ الله » في القصر الحقيقي او « ما شاعرٌ الا زيد » في القصر الاضافي على انواعه الثلاثة واما موصوف على صفة وهذا لا يكون الاَّ على سبيل المبالغة او الاضافة كقولك « ما زيد الاَّ شاعر » فان القصر على سبيل الحقيقة متعذرٌ لان مدلوله أنَّ زيداً لا يتصف الا بصفة الشاعرية وهذا خلاف الواقع فلتصحيح الاسناد لا بد من اعتبار القصر انه على سبيل المبالغة او انه قصر اضافي على نوعٍ من انواعه الثلاثة وفي ما ذكرناه كفاية

طرق القصر واداوته

للقصر ثلاث طرق (الاولى) ما دلت عليه بالوضع وادواتها النفي والاستثناء نحو « لا الهَ الا الله » وكقولك « ما شاعر الاَّ زيد او ما زيدٌ الاَّ شاعرٌ » سواء كان القصر على الحقيقة او المبالغة او على سبيل الاضافة . والمقصور عليه في هذه الطريقة يقع دائماً بعد (الاَّ) ومثل النفي والاَّ (إنما) فانها تقوم مقامهما في قصر الموصوف على الصفة او الصفة على الموصوف في جميع انواع القصر الاَّ ان بينهما فرقين في الاستعمال احدهما ان المقصور عليه بانما متاخرٌ دائماً عن المقصور كقولك « انما شاعرٌ زيدٌ » و « انما زيد شاعر » فالمتاخر منهما هو المقصور عليه ، وثانيهما انه يصح العطف بلا بعد (انما) ولا يجوز

ذلك بعد « النفي والا » اصلا كقولك « انما جاء زيدٌ لا عمرٌ » و « انما كاتب زيد لا شاعر » و « انما جاء زيد راكبا لا ماشيا » او « انما جاء راكباً زيدٌ لا عمروٌ » هذا في القصر الاضافي و « انما زيد كاتب لا غيره » و « انما كاتب زيد لا غيره » في المبالغة و « انما الله الهٌ لا غيره » في القصر الحقيقي

(الثانية) ما دلت عليه بالمنطوق او بصريح اللفظ وادواتها « لا » في الايجاب و « بل » في النفي كقولك « فقيهٌ زيدٌ لا شاعر وناقلٌ لا مبتكرٌ » و « قام زيدٌ لا عمروٌ » و « رايت زيداً لا بكراً » و « ليس زيد طبيباً بل فيلسوف » و « ما شاعر بكر بل فقيه » وهذه الطريقة خاصة بالقصر الاضافي كما ترى بخلاف الاولى فانها تكون في الحقيقي والاضافي

(الثالثة) ما دلت عليه بالمفهوم وليس لها اداوت لفظية انما تقوم بتقديم ما حقه التأخير كقولك « في الدار زيد » و « لزيارة اخيه جاء زيد » و « راكباً جاء زيد » ونحو ذلك من الامثلة . على ان هذه الدلالة على القصر ليست وجوبية كدلالة صاحبتيها عليه ولا بد معها من انتفاء المعارض فانه مع وجوده لا تفيد القصر اصلاً وكذلك اذا دلة قرينة على ما ينافي القصر فانه لا يبقى للتقديم دلالة عليه كقولك مثلاً « يا بنيَّ اوصيك بهذا جارك لا تشاتمه ورئيسك لا تقاومه واقوى منك لا تخاصمه » فانه ليس في هذا التقديم ما يدل على القصر ولو دل عليه لكان مفهوم الجمل ما ياتي او نحوه « جارك لا تشاتمه بل شاتم غيره ورئيسك لا تقاومه بل قاوم غيره واقوى منك لا تخاصمه بل خاصم غيره » وفساد هذا المفهوم اظهر من ان يوضَّح وذلك لان العقل والشرع والعادة جميع هذه تحظر على الموصى ان يشاتم غير جاره او ان يقاوم غير رئيسه او ان

يخاصم كفوّه او من هو اضعف منه . نعم في هذا التقديم ما يدل على الاختصاص وهو ايقاع الحكم على متعلقه (اي الاختصاص) لاهميته معه بقطع النظر عن غيره لقصد افراده بخصوصية لا تكون لذلك الغير في شيء مشترك بينهما وعليه فمفهوم هذه الجمل مع الاختصاص يقارب قولنا « اوصيك بترك مشاتمة جارك خصوصاً و كذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك لما فيه من الاهمية لك » او « اوصيك بترك مشاتمة جارك وان مع الاسباب التي تحملك على المشاتمة مع غيره و كذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك »

وقد عدوا من طرق القصر تعريف المسند والمسند اليه معاً كقولك « زيد الكريم وانت الامير » وعدوا ايضاً توسط ضمير الفصل نحو « فالله هو الوليُّ » ونحو « اصحاب الجنة هم الفائزون » و كذلك تقدم المسند اليه النكرة كقولك « رجل جاءني » وفي هذه كفاية للمتدبر فانه لا يصعب عليه ان يقيس مالم نذكره بما ذكرناه

(تنبيه) قرأت للامام السبكي رحمه الله كلاماً في الفرق بين الحصر والاختصاص فليراجع في كتاب الاتقان في علوم القرآن طبع المطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٧٩ الجزء الثاني وجه ٦٣ — ٦٥

القسم الثالث

في بعض اوصاف تتصف بها الجملة

من خبرية وانشائية وايجاز واطناب ومساواة

الجملة الخبرية

تعريفها

الجملة الخبرية هي ما يمكن أن يتبادر الى الذهن عند اول سماعها احتمال الصدق والكذب فيها كقولك « جاء زيد » فانه عند سماع هذه الجملة يمكن ان يتبادر الى الذهن احتمال صدقها و كذبها اي مجيء زيد وعدم مجيئه و كقولك « الخمسماية نصف الالف » فانه يمكن ان يتبادر الى الذهن عند اول سماعها انها كذلك او اقل من النصف او اكثر منه لا سيما عند غير المشتغل بعلم الاعداد و كقولك « كل مسبب لا بد له من سبب » وهلم جرًّا

وقد تصدى علماء البيان للكلام في صدق الخبر و كذبه ولو اوردنا كل ما قالوه لطال بنا الكلام على غير طائل وخلاصة ما يمكننا ان نقوله ان الجملة الخبرية ينظر معها من جهة صدقها و كذبها الى احد امرين اما الى نفس الخبر اي الحكم المتضمن فيها واما الى المخبر او القائل فان نُظر فيها الى نفس الخبر فصدقه (في الافعال) كقولك قام زيد وقعد وسقطت النيازك واقتتل الجيشان في يوم كذا الخ انما هو في مطابقته للواقع و كذبه في عدمها واما في

غير الافعال كقولك « العلم نافع » و« النظر الصحيح يولد العلم » وكقول الشاعر مثلاً

تصفو الحياةُ لجاهلٍ او غافلٍ عمَّا مضى فيها وما يتوقعُ
ولمَنْ يغالطُ في الحقائقِ نفسَهُ ويسُومُها طلبَ المحالِ فتطمعُ

وكقول الآخر

وكُلُّ من لا خيرَ منه يُرتجى إنْ عاشَ اومات عَلَى حدٍّ سِوى

فصدقه قائم في مطابقة الحكم الذهني للحقيقة على ما هي عليه في نفس الامر وكذبه في عدم المطابقة . واما ان نظر في الجملة الى المتكلم فصدقها وكذبها قائم باعتبار اعتقاده وعدمه فاذا اعتقد صحة ما يقول فصادقة وان لم يعتقد الصحة فكاذبة وربما يندفع بهذا الذي قلناه الاشكال في الآية[1] « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » فان الخبر في قولهم (نشهد انك لرسول الله) صدق عند المسلمين لمطابقته الواقع او الحقيقة في نفس الامر واما المنافقون فكاذبون في شهادتهم هذه لانهم لا يعتقدون صدقها والله اعلم

ثم انهم اي البيانيين ذكروا فائدة الخبر ولازم فائدة الخبر وارادوا بفائدة الخبر استفادة السامع من الخبر الحكم كقولك « هذا اخي » وارادوا بلازم فائدة الخبر استفادته اي السامع ان المخبر عالم بالحكم كقولك « هذا اخوك » فانه يعلم انه اخوه وهذا مما لم نقصده بالخبر انما قصدت به اخباره انك عالم بالحكم وهذه الفائدة قد لا تكون معلومة عند المخاطب من قبل

---

(١) انظر شرح التلخيص للعلامة التفتازاني طبع الاستانة وجه ٣٩ — ٤٠

توكيد الجملة الخبرية

ونريد بذلك توكيدها اما بانَّ من الحروف المشبهة بالافعال على ما هو معروف عند النحويين اما لوحدها كقوله

وإني منَ القومِ الذينَ هُمُ هُمُ إذا ماتَ منهم سيّدٌ قامَ صاحبُهْ

واما مع اللام الداخلة على ما تاخر من معموليها كقول بعضهم

إنَّا لنَصفحُ عنْ مجاهلِ قومِنا ونُقيمُ سالِفةَ العدُوِّ الأصْيَدِ
ومتى نجد يوماً فسادَ عشيرةٍ نُصلحْ وان نرَ صالحاً لا نُفسِدِ

او باللام لوحدها كقوله

والشيبُ إن يظهر فإنَّ وراءَهُ عُمراً يكونُ خِلالهُ مُتنفَّسُ
لم يَنتقِصْ منّي المَشيبُ قُلامةً ولَمَا بقى منّي ألَبٌّ وأكْيَسُ

والشاهد في البيت الثاني . او بالقسم كقوله

واللهِ لَنْ يَصِلُوا إليكَ بجَمعِهِمْ حتى أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفِينا

وكقول الاخر

أللهُ يَعلمُ ما تَرَكتُ قتالهم حتى حَبَوْا مُهْرِي بأشقرَ مُزْبِدِ
وَعَرَفتُ أني إنْ أُقاتِلْ واحداً أُقتَل ولا يَنكي عدُوّي مَشهَدِي
فَصَدَدْتُ عنهم والأَحِبَّةُ فيهِمِ طَمعاً لهم بِعِقابِ يومٍ مُرْصِدِ

وقد يجتمع القسم مع إنَّ او مع اللام او مع إن واللام وقالوا ان هذا على درجات التوكيد نحو « الله يعلم انا اليكم لمرسلون »

والتوكيد لا يكون في المشافهات الا مع المنكر او المتردد غالباً ويكاد لا يخفى على العامي متى يحتاج اليه في هذا الموقف على ان الصعب انما هو معرفة مواقعه التي يحسن فيها في الخطب والمكاتبات وتوصلاً لهذه الغاية لا بد لنا من

النظر في اسباب التوكيد والدواعي التي تدعو اليه في الاصل

(اولاً) اعلم اننا كثيراً ما نتوقع حصول امرٍ محبوب لوجود اسباب عندنا تدعونا الى توقعهِ فيفوتنا ذلك الامر المتوقع اما بعدم وقوعه اصلاً او بوقوعه على خلاف ما نحب ولتكرر ذلك في اختباراتنا اعتدنا الشك في كل ما كان من هذا القبيل فصرنا اذا اخبرنا بوقوع محبوب في الحال اوالماضي او قيل لنا انه سيقع في المستقبل ننزل الاخبار بمنزلة سبب عاديّ لا يوجب اليقين بحصول مسببه عقيبه فلا تطمئن قلوبنا الى الخبر الا بعد التوكيد الذي ينزل في الكلام الخطابي بمنزلة البرهان في القضايا التعليمية فيزيل هذا بقايا الارتياب من القلوب كما يزيل البرهان بقايا الشك من العقول

وعلى عكس ذلك لما كنا لا نتوقع المكروه او لا نحب ان نتوقعه فاذا نزل بنا فكأنما نزل بغتة اصبحنا ننزل الاخبار عنه بمنزلة السبب المفاجئ فلا نرتاب به الا اذا اسند الى صديق او الى من رسخ في اذهاننا عدم صدوره عنه مثال ذاك اذا قيل لنا ان فلاناً (من غير اصدقائنا المخلصين)قال عنا كذاو كذا مما نكره فانا نتلقى الخبر بالقبول من غير ان يقوم في انفسنا شك يحتاج الى توكيد يزيله واذا اكدناه رات النفس عدم الحاجة الى التوكيد فشق عليها ذلك كما يشق على العقل اقامة البرهان على ما لا يحتاج الى برهان بل ربما داخل النفس من التوكيد في مثل هذا الموقف ما يدعوها الى الريب والتشكيك في صحة الخبر فاعلم ذلك

(ثانياً) قد يكون للامر الواقع سببان والنفوس او العقول متوجهة الى الاعتقاد او الحكم بان احدهما هو المسبب وقوع ذلك الامر دون الاخر

مع ان الحقيقة على العكس ففي مثل هذه الحالة اذا قلنا ان السبب الثاني هو المستقل بالسببية فلا بد لنا من اقامة البرهان في التعليميات والتوكيد في الخطابيات اثباتاً لصحة مدعانا وعلى هذا ورد قول الحرث ابن هشام فانهم عيروه انه هرب في موقعة بدر المشهورة جبناً فقال يعتذر عن نفسه ويذكر السبب الداعي لهربه

أَللهُ يَعلمُ ما تَرَكتُ قِتالَهُمْ حتى حَبَوْا مُهري بأشقَرَ مُزْبِدِ
وَعَرَفتُ أَني إن أُقاتِلْ واحداً أُقتَلْ ولا يَنكي عدوّي مشهَدِي
فصَدَدتُ عنهم والأَحِبَّةُ فيهِمِ طَمَعاً لهُم بعِقابِ يومٍ مُرْصَدِ

وما احلى ما قاله الآخر

وَاللهِ ما كِبَراً مَشيبي إنمَا هَذا الدَّلالُ الى المَشيبِ يسُوقُ

فانه نفى ان يكون الكبر مسبب المشيب واثبت ذلك لدلال المحبوب

(ثالثاً) كما ان القضية التعليمية اذا كانت مما يعسر على الذهن ادراكها احتاجت الى برهان او الى ضرب من الامثلة والتقريبات التي يتمكن الذهن بواسطتها من فهمها هكذا الحكم الواقع في الجملة الخطابية فانه ان كان في نفسه عسراً يصعب قبول اسناده الى من هو له او مبنياً على ما هو عسر شاق احتاجت النفس حينئذ الى ضرب من التوكيد يقوم عندها مقام البرهان او التقريب عند العقل مثال ذلك قول القائل

إنَّا لَنَصفحُ عن مجاهلِ قَومِنا ونُقيمُ سالفةَ العدُوِّ الأَصيَدِ

فان الصفح عن مجاهل قومه من قبيل مجازاة الشر بالخير وفيه من الصعوبة على النفس ما فيه وكذلك اقامة سالفة العدو الاصيد فانه يحتاج الى تجشم اهوال من طعن وضرب وممارسة انواع من الخديعة والدهاء فاحتاج الكلام

الى التوكيد فاكد كما ترى . وكذلك ورد قول ابي طالب عم الرسول

واللهِ لَن يَصلوا إليكَ بجمعِهم حتى أُوسَّدَ في التُرابِ دَفِينا

فانه بنى الحكم بعدم وصولهم اليه على المناصرة له وبلوغ منتهى الغاية فيها اعني القتل فاحتاج الامر الى التوكيد فاكد بالقسم وجاء بلفظ الجلالة لما له من الوقع في النفوس ولان السيد الشريف لا يقسم به الا على عظيم ولا يقسم الا صادقاً

(رابعاً) اذا كان الحكم غريباً في ذاته لغرابة التخيل او التشبيه او كان واقعاً على اختلاف المعتاد او على خلاف المقرر في النفوس او المتوقع عندها او كان يعلم ان المخاطب ينكره او انه في غفلة عنه او كان ظاهر حاله كالمنكر له ففي جميع هذه المواقع قد يحتاج الى التوكيد والله اعلم ومن امثلة ذلك

قول بعضهم : إنَّ الفجيعةَ بالرِّياضِ نواضراً لأجلُّ منها بالرِّياضِ ذوابلا

ونحو : إنَّ الكرامَ بلا كرامٍ مثلها مثلُ القلوبِ بلا سُوَيداواتها

ونحو : إني لأجبُنُ من فراقِ أحبتي وتَحِسُّ نفسي بالحِمامِ فأشجعُ

ويزيدُني غضبُ الأعادي قسوةً ويُلِمُّ بي عَتْبُ الصديقِ فأجزعُ

ونحو : لئن تركنا ضُمَيراً عن يَمامِتنا لَيَحدُثَنَّ لمَن وَدَّعتُهم نَدَمُ

ونحو : ألا يا ابنَ الذينَ فَنُوا فماتُوا أما واللهِ ما ماتوا لتبقى

ومالكَ فاعلَمَنْ فيها مُقامٌ إذا استكملتَ آجالاً ورِزقا

ونحو : جاء شَبيبٌ عارضاً رُمحَهُ إنَّ بني عمكَ فيهم رِماحُ

واعلم ان التوكيد بوجه الاجمال يناسب ما كان من قبيل الاعتقادات والانفعالات دون ما كان من قبيل الادراكات والمنقولات فان هذه يناسبها البرهان دون القسم ولذلك فقولك مثلاً « الاسلام حقٌّ » لا يحتاج الى

التوكيد لانه قضية يمكن ان يقام عليها الدليل لاثبات صحتها الا اذا سُئلت عن اعتقادك فيها فانه لا ينكر عليك حينئذ ان تعزّز جوابك بموكد

هذا وربما اذا تدبرت ما ذكرناه لك وقست عليه اشباهه ونظائره لم يصعب عليك بعدها ان تاتي بالتوكيد في مواضعه اللائقة به وربما اغناك ايضاً عما ذكره البيانيون في مطولاتهم في باب التوكيد واخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر فانه على ما فيه من الفائدة يصعب على المبتدي بل على كثيرين غيره فهم ما يشيرون اليه في كلامهم[1]

بقي عليَّ ان اذكر لك شيئاً عن ادات التوكيد (إنَّ) فانها قد تستعمل في غير التوكيد كالتعليل مثلاً وتفيد حينئذ ربط جملة ما بعدها بما قبلها وان ما بعدها من الكلام لا ريب في صحته وامثلة ذلك اذا تنبهت لها اكثر من ان تحصى فمنها قوله

يا ايها الملك الناءي بغُرَّتهِ وَجُودهُ لمرجّي جودهِ كَثَبُ
ليسَ الحِجابُ بمُقْصٍ عنكَ لي املاً إنَّ السَّماءَ تُرَجَّى حينَ تحتجبُ

فان في عجز البيت الثاني للتعليل لا للتوكيد ولو كانت للتأكيد لكان ذلك من باب العبث لان القضية بعدها وهي (ترجى الناس السماء حين احتجابها باليغوم) قضية مقررة في الاذهان ليس من ينكرها ولا من يتردد في صحتها ومثل ذلك قول الآخر

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهُم فإنَّ المِسكَ بعضُ دَمِ الغَزالِ

اي ان تفق الانام وانت منهم فلا عجب لان المسك الخ فمن الواضح انها

---

(١) انظر المطول للعلاَّمة التفتازاني طبع الاستانة من وجه ٤٦ — ٥٣

للتعليل وما بعدها قضية يقينية واليقينيُّ لا يحتاج الى توكيد وقد تستعمل مع الكلام في مقام المدح والذم والترغيب والتنفير والتحسر واشباه ذلك فتزيد من رونق الكلام وطلاوته بما تنبه اليه النفس عند التلفظ بها وبيانه ان الاغراض المذكورة تنتقل الى نفس المخاطب اما بواسطة الالفاظ المعبرة عنها او بها وبغنة الصوت وهيئة الوجه معاً والطريقة الثانية اشدُّ وافعل على النفس من الطريقة الاولى كما ان رؤية الحزين فعلاً وسماع صوت بكائه مثلاً افعل على النفس من قولنا « هو حزين للغاية وقد بكى بكاءً مرًّا » وعلى هذا المبدا نقول انه يسهل علينا مع ذكر (انَّ) في المقامات المذكورة ان نودع اصواتنا غُنَّةً تنبه النفع الى تلك المعاني وتنقلها اليها على صورة اقوى وابلغ مما لو ترك لفظها والمتامل يعلم ان مجرد رؤية (ان) عند المطالعة يعرى عن الفائدة الاَّ اذا تفطن الذهن حال وقوع النظر عليها لما يصحبها من غنة الصوت وهيئة الوجه عند التلفظ بها كما مرَّ بل نقول لك ايضاً ان السرَّ في سائر ادوات التوكيد وافادتها الكلام فائدتها المخصوصة انما مرجعه الى غنة صوت المتكلم وهيئة وجهه عند النطق بها بل هذا هو السر في انك تسمع خطاب الخطيب فتحس بشدة تاثيره في نفسك ثم تقراه فتراه قد نقص الكثير من بلاغته وتاثيره والالفاظ باقية على حالها وانت مصيب في ذلك لانه نقص غنة صوت الخطيب وهيئة وجهه . فاذا امكنك ان تجعل نسق كتابتك بحيث يتنبه معها الذهن الى غنة الصوت الحي التي تصحب عادة معاني عباراتك فافعل وكذلك اذا وقفت خطيباً فاحرص على ما يؤديه صوتك كما تحرص على ما تؤديه عبارتك ولعل هذا الاستطراد لا يعرى عن فائدة ولنرجع الى (انَّ) فنقول

قال الشيخ عبد القاهر[1] (وهو صاحب دلائل الاعجاز وأحد ايمة علماء البيان المتفردين فيه) « قد تدخل كلمة (إنَّ) للدلالة على ان الظن كان من المتكلم في الذي كان انه لا يكون كقولك (احسنتُ الى فلان ثم انه جعل جزائي ما ترى) وعليه (رب اني وضعتها انثى · ورب ان قومي كذبون) ومن خصائصها ان لضمير الشان معها حسناً ليس بدونها بل لا يصح بدونها نحو (إنه من يتقِ ويصبر) الآية و (انه من يعمل سوءًا) و (انه لا يفلح الكافرون) ومنها تهيئة النكرة لان تصلح مبتدا كقوله (ان شواءً ونشوة وحبب البازل الامون) وان كانت النكرة موصوفة تريها مع انَّ احسن كقوله

إنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِي بِسَعْدَى لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالإِحْسَانِ

ومنها حذف الخبر نحو ان مالاً وان ولداً وان زيداً وان عمراً فلو سقطت إنَّ لم يحسن الحذف او لم يجز » (انتهى كلامه)

وقد نقلت كلام هذا الامام رحمه الله ايناساً بما ذكرته من ان كلمة (إنَّ) قد تستعمل لغير التوكيد على ان المثل الذي ذكره الامام « رب اني وضعتها انثى » من قبيل التحسر وان تفيد وتصوّر قوة هذا الاحساس في نفس المتكلم وعبارته السابقة على الشاهد يمكن ان تدل على التحسر دلالة العام على الخاص والله اعلم

---

(١) المطوّل للتفتازاني وجه ٥٣

الجملة الانشائية

تعريف الجملة الانشائية وانواع الانشاء

الجملة الانشائية عكس الخبرية ولذلك يصح ان نقول في تعريفها هي ما لا يتبادر معها الى الذهن عند اول سماعها احتمال الصدق والكذب فيها كقولك « اذهب » و « لا تذهب » و « هل ذهبت » و « من اين اتيت » و « ما احسن ما قلت » و « يا ليتني كنت انتصحت بنصيحتك » وهلمَّ جرًّا

والمهم في هذا البحث معرفة انواع الانشاء وصيغه وادواته المختلفة والفرق بينها في الاستعمال ومعرفة اصل دلالة كل نوع اولاً ، وما يمكن ان يستعمل له ذلك النوع من الاغراض والمقاصد الخطابية المختلفة ثانياً . واليك تفصيل كل ذلك ماخوذاً عن عقد الجمان للعلامة الشيخ ناصيف اليازجي رحمه الله وعن المطوَّل للعلاَّمة التفتازاني رحمه الله مع بعض ما خطر لنا والله الموفق الى الصواب

من انواع الانشاء التمني والاستفهام والامر والنهي والنداء وهي المختصة بموضوع بحثنا الآن لما فيها من التشعبات والاغراض المعنوية المختلفة الكثيرة العروض في كلام البلغاء بخلاف غيرها من بقية انواع الانشاء فان فيما ذكرهُ النحاة بشأنها ما يغني عن افرادها بابحاث خاصة بها الاَّ ما كان من افعال المدح والذم فانا احببنا ان نخصها بنوع بحثٍ خطر لنا فيها كما سترى

التمني

وحددهُ العلامة التفتازاني بطلب حصول الشيء على سبيل المحبة ولا

يشترط امكان المتمنى لان الانسان كثيراً ما يحب المحال ويطلبه فهو قد يكون ممكناً كقول القائل

لَيْتَني في المُؤْذِنِينَ حَياتي إنهمْ يُبْصِرُونَ مَنْ في الْبُطُوحِ
فَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيهم بِالْهَوَى كلُّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

وقد يكون محالاً اما عقلاً او شرعاً نحو قوله

أَلاَ لَيتَ الشَّبابَ يعودُ يوماً فأُخبِرَهُ بِما فعلَ المَشيبُ

ونحو أَيُّها الرَّائحُ المجِدُّ ابْتِكارًا قَدْ قَضَى من تِهامَةَ الأَوْطَارَا
لَيتَ ذَا الحَجَّ كانَ حتماً علَيْنَا كلُّ شَهْرَينِ حَجَّةً وَاعْتِمارَا

ولما كان التمني اخباراً بغير صورة الخبر عن انفعال النفس وارادتها حصول المتمنى كان له من الوقع غير ما للخبر الذي هو اخبار عن مدرك من مدركات العقل فان قولك «ليت الشباب يعود» تصوير لهيئة النفس عند تصورها الشباب وعودته اليها بخلاف قولك «اتمنى ان يعود الشباب» فانه تصوير لمدرك حاصل عند العقل وشتان بين الاخبار عن حزين انه حزين وبين رؤية الحزين وبين الاخبار عن حصول السرور وعن ظهور اماراته في الوجه وبين رؤية تلك الامارات عياناً ولما كان التمني ايضاً طلب حصول الشيء على سبيل المحبة كان له بحسب نوع الزمان وقرائن الاحوال المتعلقة به مظاهر تختلف اسماؤها بين «تندُّم» كقول التنزيل «يا ليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً» ونحو قول القائل

لَيْتَ الْخَلِيطَ الَّذِي قَدْ بَانَ لم يَبِنِ وَلَيتَ مَا كانَ مِنْ حُبِّيكِ لم يَكُنِ

و«تحسر او تأسف» نحو قول التنزيل «ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» و«يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً» و«يوم

ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً» ومنه قول المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة

فَلَيتَ طالِعَةَ الشَّمسَينِ غائِبَةٌ ولَيتَ غائِبَةَ الشَّمسينِ لم تَغِبِ
ولَيتَ عينَ الَّتي آبَ النَّهارُ بها فِداءُ عينِ الَّتي غابت ولم تَؤُبِ

«وتشكٍّ» كقول المتنبي والحريري

لَيتَ التَّجارِبَ باعتني الذي أَخَذَتْ مِنّي بعلمي الذي اعطت وتجربي
فليتَ أَني لم اكُنْ أُرضِعتُ ثَدْيَ الأَدَبِ
فقد دَهاني شُؤمُهُ وعقَّني فيهِ ابي

و «تولُّه» كقوله

ليسَ القِبابُ عَلَى الرِكابِ و إِنما هُنَّ الحياةُ ترحَّلَتْ بسلامِ
ليتَ الذي خلقَ النوَى جعلَ الحصى لِخَنافِهِنَّ مفاصلي وعظامي

فانه تحير من شدة الوجد فتمنى ما تمنى

و «استعطاف» كقول القائل للامير مثلاً «ليت الامير يأذن لي فاتكلم» ومنه قول ابراهيم الخليل يخاطب الحق سبحانه «ليت اسماعيل يعيش امامك»

ومواقع ليت واستعمالاتها الشائقة لا تخفى على اصحاب الذوق السليم ولا على من راض نفسه بتتبع كلام البلغاء وحذاق الكتاب فان احدهم لينكر على صاحبه ما كان منه من فعل او قول ويعمد الى توبيخه على اخفى صورة والطف اسلوب فيأتي بليت ويقول «ليت اخي لم يصدر منه كذا او لم يعجل في كذا او لم يقل كذا» وقد يريد حثه على فعل او واجهه به بغير صورة التمني لاستاء منه ولتصلب في العناد فيقول مثلاً «ليتك تكتب الى فلان فان في كتابتك

اليه كذا و كذا من وجوه المنفعة » وجميع هذه الاغراض لا يخفى على اللبيب ان يلحظها في كلام الغير او يودعها في كلام نفسه

وقد يُتمنى بلو وهل و لَعَلَّ · اما لو فكقول التنزيل «لو ان لي كرَّة فاكون من المحسنين » اي « اتمنى لو ان لي كرة » والراجح ان حكم لو هذه مع فعل التمني كحكم باء التفدية مع فعلها فيحذف فعل هذه كما يحذف فعل تلك وقد اشار الى ذلك الامام ابن مالك على ما نقلناه في بحث (لو) في باب الجملة الشرطية واما هل فكقولك « هل لي من شفيع » حيث تعلم ان لاشفيع و كقول الشاعر

هلِ الشَّبابُ مُلِمٌّ بي فَراجِعَةٌ ايَّامهُ لِيَ في اعقابِ ايامِ

واما (لعل) فمثلوا لها بقولهم «لعلي احج فازورك » بنصب الجواب وارى منه قول البها زهير

لعَلَكَ تُصغي ساعةً واقُولُ فَقد غابَ واشٍ بيننا وعَذُولُ

وفي هذا التمني ما فيه من الاستعطاف كما لا يخفى · انتهى

الاستفهام

وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن فان كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين او لا وقوعها فحصولها هو التصديق والا فهو التصور

والالفاظ الموضوعة له هي الهمزة · وهل · وما · ومن · واي · وكم و كيف · واين · وانى · وايان · ومتى · ولنقدم بحث الحروف وبالله التوفيق

حروف الاستفهام

لما كان الحرفان اي هل والهمزة لا معنى لهما في نفسهما فاستعمالهما متعاقبتين على المحل الواحد من دون تمييز واختصاص بينهما مخالف لحكمة الاقتصاد في استعمال اداتين متمايزتين لغرض واحد . والذي يؤخذ عند التامل من مجمل كلام النحاة والبيانيين انهما كانتا تستعملان اولاً مترادفتين اي متعاقبتين على المحل الواحد الاَّ انه مع مرور الايام حصل التمايز واختصت كل من الاداتين بدخولها على ما يكره أن تتخطاه الى غيره لمناسبة اقتضت ذلك وقبل الكلام عماً اختصت به كل اداة لا بدَّ لنا من بيان انواع المستفهم عنه وحصرها بما لا تخرج عنه في الكلام

انواع المستفهم عنه

(١) الفعل ، نحو هل ذهب زيد . وهل يذهب

(٢) الاتصاف ، نحو هل زيد عالم . وهل بكر غنيٌّ او جاهل الخ

(٣) الصفة ، نحو اعالم زيد . امسافرٌ بكر ويلحق بالصفة الظرف والمجرور نحو اعندك زيدٌ . الك حاجة

(٤) المتعادلين طلباً للتعيين ، نحو ازيد في الدار ام عمرٌو . اناثرٌ زيدٌ ام ناظمٌ . ازيدٌ قام ام عمرو

(٥) المطلوب الاقرار به ، نحو أانت فعلت هذا الخ ولنتقدم الآن الى

الفرق بين هل والهمزة والمناسبة التي اقتضت استعمال احداهما دون الاخرى مع نوع من هذه الانواع المارّة

الفرق بين هل والهمزة

اعلم اننا نعتقد ان الاداتين متفرعتان في الاصل عن هاء التنبيه فان الاستفهام نوع تنبيه او يمكن ان يتولد عنه واثبات ذلك ليس من موضوع بحثنا الان وغاية ما نقوله انه بناءً على تفرعهما من اصل واحد كانتا تستعملان متعاقبتين على المحل الواحد كما يؤخذ من كلام النحاة واختلافهم فيهما وكما لا تزال اثار ذلك ظاهرة في امثال اللغة وشواهدها حتى الان ثم مع توالي الايام لحظ بداهة نوع مناسبة ما بين لفظ كل منهما وما بين نوع من الانواع المستفهم عنها على ما ذكرناها لك فأُخذ بتلك المناسبة وما زال حتى انفردت كل دون اختها بمواضع خاصة بها وهذا ما نريد بيانه لك بما يقرب فهمه عليك فنقول

(اولاً) الهمزة مقطع خفيف متحرك يقتضي سرعة الانتقال منه الى ما بعده فيناسبها اذن الجملة الشديدة الارتباط بين اجزائها وذلك لان شدّة الارتباط بين الاجزاء تؤذن الذهن بسرعة الانتقال من احدها الى ما يليه

(ثانياً) هل مقطع ركين يستقل بنفسه عما بعده ويتاتى فيه من سهولة الوقوف على لفظه وترك مجال للتفكر بعده ما لا يتاتى مع الهمزة فيناسبه من الجمل ما ليس بين اجزائها شديد ارتباط يقتضي سرعة انتقال الذهن من الواحد الى الآخر وهذا امر يشهد به الذوق ويمكن لك الحكم فيه من تلقاء نفسك

(ثالثًا) بناءً على ما قدمناه تكون الهمزة انسب من هل في الاستعمال مع كل ما يقتضي فيه الخفة وسرعة الانتقال من المستفهم عنه الى متعلقه فهي اذاً اجدر بالاستعمال في المواضع الاتية

(١) في الاستفهام طلباً للتعيين والاولى ان يليها احد المتعادلين ويلي (ام) الاخر في آخر الجملة والمتعادلان يكونان اما فعلين نحو « اقام زيد ام قعد » او فاعلين نحو « ازيد قام ام عمر » ٠ او مفعولين نحو « ازيداً ضربت ام عمراً » او مبتدأين نحو « ازيدٌ عالم او عمرٌو » او خبرين نحو « اعالم زيد ام جاهل ٠ افي الدار زيد ام في السوق » ٠ او غير ذلك نحو « ابالنحو زيد ثقة ام بالبيان » وهلم جرًا وسببه انه في طلب التعيين لا بد من سبق تصور المتعادلين وتصور الامر الثالث المطلوب ادراك نسبته الى احدهما وسبق هذا التصور يوذن بسرعة انتقال الذهن من احداهما الى الاخر فيناسب ذلك لفظ الهمزة كما قدمنا

(٢) في الاستفهام لطلب التقرير وذلك لان المطلوب التقرير عنه لا بد ان يسبق له ولمتعلقه نوع تصور في الذهن يوجب سهولة في الانتقال من احد اجزائه الى الآخر وهنا ينبغي ان يلي الهمزة ما يطلب التقرير عنه من فعل نحو « اتُحبُّ القَتول اخت الرباب » وعليه قول السيد لبطرس « يا سمعان بن يونا اتحبني اكثر من هوءلاء » او فاعل نحو « انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين » ونحو « قالوا اانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » او مفعول به نحو « اغير الله تدعون » « افغير الله تتقون » او غير ذلك كقوله « أ الي تقول هذا » وكقوله

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما انتَ قائلُهْ وأبدَى الجوابَ الرَّبْعُ عمَّا تُسائلُهْ

أفي ذاكَ بُرْءٌ من جَوًى أَلهَبَ الحشا توقُّدُهُ واستغزَرَ الدمعَ جائِلُهْ

(٣) في الاستفهام عن الصفات نحو « اعالم زيد » لان الصفات يمتنع قيامها بنفسها ويمتنع ايضاً تصورها بدون تصور موصوفها فلا بد من سرعة الانتقال منها الى صاحبها ويلحق بالصفات الظرف والمجرور ايضاً فان تصورها متوقف على تصور متعلقها فلا بد من اسراع الذهن منها اليه

(٤) مع الجملة الشرطية لما بين فعليها من شدة الارتباط الذي يدعو الى سرعة انتقال الذهن من الاول الى الثاني نحو قوله

أإن هتفَتْ وَرْقاءُ في رَونقِ الضُّحى بكيتَ كما يبكي الوَليدُ منَ الوَجْدِ

(٥) مع الجملة موكدة بإنَّ لان التوكيد يقتضي تصور الموكد اولاً وعليه آية التنزيل « وان تعجبْ فعجبٌ قولهم أَئذا كنا تراباً أَإنا لفي خلق جديد »

(٦) مع النفي وذلك لسبق العلم باصل الجملة في الايجاب وسبق العلم يوذن بسرعة الانتقال كما مر نحو « أَلم تذهب الى المدينة » فانه لا بدَّ من سبق العلم بقصد ذهابه الى المدينة والله اعلم

المواضع التي فيها هل اعرق من الهمزة بالاستعمال

(١) لطلب الاتصاف نحو « هل زيدٌ عالمٌ » « هل من رجل في الدار »

(٢) للاستفهام عن الفعل ويجب ان يليها . نحو « هل قام زيد » و« هل يقوم » وسبب وجوب دخولها هنا على الفعل هو انها اذا دخلت على الاسم تبادر

الى الذهن الاستفهام اما عن الاتصاف او عن التقرير وكلاهما خلاف المقصود او على عكس المنتظر . واعلم ان المتبادر الى الذهن يجب مراعاته والجري على ما يقتضيه والاّ تأذّى العقل لخروج الكلام عن مقتضى الطبع الذي هو اس الفصاحة والبلاغة وعمدتهما كما لا يخفى

تنبيه : قال البيانيون ولأن لها (اي لهل) مزيد اختصاص بالفعل كان « فهل انتم شاكرون » ادل على طلب الشكر من « فهل تشكرون » و « فهل انتم تشكرون » . ومن « أفانتم شاكرون » . وسببه على ما ارى انها لطلب الاتصاف مع الجملة الاولى فيكون مؤداها « هل انتم متصفون بما يوجب الشكر » بخلاف مؤدى الجملة الثانية فانه اما سؤال عن المرّة او مرادف لقولنا « هل يحصل الشكر منكم المرّة بعد الاخرى » . ولا يخفى ان وقوع الشكر المرة بعد الاخرى قد يكون على سبيل العادة وقد يكون تكلفاً ورياءً وهذا لا يستلزم ظهور الشكر في اوقاته دائماً بخلاف الاتصاف بما يوجبه فانه يستلزم ظهوره كلما دعا داعٍ له واما الجملة الثالثة فالاولى بها ان تكون للتقرير ثم هي اذا كانت لطلب غير التقرير فمعناها كمعنى الثانية مع احتمال ارادة القصر او الاختصاص . واما الجملة الاخيرة « افأنتم تشكرون » فالاولى بها ان تكون للتقرير واما اذا تحقق انها لغير التقرير فتكون من قبيل توارد هل والهمزة على محلٍّ واحد وحينئذٍ فلا فرق بين الجملتين والقول بالفرق ليس له من دليل يسنده الا ما لا يثبت على محك النقد او ما كان هو والاعتباط من باب واحد والله اعلم

لماذا تستعمل بقية ادوات الاستفهام

بقية ادوات الاستفهام هي : (من) ويسأل بها عن العوارض المشخصة لذي علم كقولك « من فعل هذا » فتقول « زيد » و « من زيد » فتقول « رجل عالم او كاتب او غنيٌّ » فالعلمية والعالمية والكاتبية الخ جميع هذه عوارض تشخص العاقل او ذي العلم لدى الذهن . و (ما) ويسال بها عن

معنى الاسم او عن ماهيته كقولك «ما العنقاء» فتقول «طير» او «طير كبير الجسم غريب الشكل يتوهم وجوده وهو غير موجود» . و (اي) ويسأل بها عما يميز احد المتشاركين فيما يعمهما نحو «اي الفريقين احقُّ بالأمن» فتقول «فريق المؤمنين» مثلاً و كقولك «اي الرجلين عندك» فتقول «زيد» فان العلمية تميز احد هذين المشتركين بوصف الرجولية عن الآخر . و (متى) ويسأل بها عن الزمان ماضياً نحو «متى جئت» ومستقبلاً نحو «متى تذهب» . و (ايان) ويسأل بها عن المستقبل قيل وتختص بما له شان وخطر نحو «ايان يوم الدين» . و (اين) و يسأل بها عن المكان نحو «اين كنت» . و (كيف) و يسأل بها عن الحال نحو «كيف انت» و «كيف اتيت» . و (انى) وتكون تارة بمعنى من اين نحو «انى لك هذا» واخرى بمعنى كيف نحو «انى يكون له الملك علينا» . و (كم) ويسال بها عن العدد نحو «كم كتاباً عندك» و «سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية»

كثيراً ما يستعمل الاستفهام لغير طلب الفهم

الاصل في الاستفهام ان يستعمل لطلب الفهم لكن اذا امتنع حمل اداة الاستفهام على حقيقتها كما اذا كان المستفهم عنه معلوماً مثلاً تولد من ذلك بمعونة القرائن ومناسبات المقام اغراض شتى لا ينحصر شيء منها في اداة دون اداة ومن تلك الاغراض

(١) الاستبعاد . كقولك «اين هذا من ذاك» تستبعد ما بينهما وعليه قوله

اينَ المَعِيزُ منَ الآرامِ ناظرَةً وغيرَ ناظرَةٍ في الحُسنِ وَالطِّيبِ

ونحو : ومتى يُساعدُنا الوِصالُ ودهرُنا يومانِ يومُ نَوًى ويومُ صُدُودِ

(٢) الاستبطاء نحو «كم دعوتك» ونحو «حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله» وكقوله

الى كم ذا التَخلُّفُ وَالتَّوَاني وكم هذا التمادِي في التمادي

ونحو : إلامَ وفيمَ تَقُلُنا رِكابٌ ونأملُ ان يكونَ لنا أوانُ

(٣) التعجب نحو «مالي لارى الهدهد» «ما لهذا الرسول يأكل الطعام» وكقوله

مالي اكتِّمُ حُبا قد بَرَى جسدِي وتدَّعي حُبَّ سيفِ الدولةِ الأُممُ

وكقوله :وكيفَ عرَفنا رَسمَ مَن لم يَدَعْ لنا فُؤاداً لعِرفانِ الرسُومِ وَلا لُبّا

ونحو : وكيفَ تُملِكَ الدُّنيا بشيءٍ وأنتَ لعِلةِ الدُّنيا طبيبُ

وكيفَ تنوبُكَ الشكوى بِداءٍ وانتَ المُستغاثُ لِما ينُوبُ

ونحو : وأنى اهتدَى هذا الرَّسولُ بأرْضِهِ وما سكَنَتْ مذ سِرْتَ فيها القساطِلُ

ومن أيِّ ماءٍ كانَ يَسقِي جيادَهُ ولم تصفُ من مَزجِ الدماءِ المَناهلُ

ونحو : ما بالُ كلِّ فُؤادٍ في عَشِيرتِها بهِ الذي بي وما بي غيرُ مُنتقِلِ

ونحو : ما لِلجِمالِ ومشيِها وئِيدا أجَندَلاً يحمِلنَ ام حديدا

(٤) التنبيه على ضلال المخاطب او على خطإِه نحو «فاين تذهبون» وكقولك «ما هذا القول الذي قلته» . «ما هذا الذي فعلت» ولا يخلو التنبيه على خطاء من نوع توبيخ

(٥) التنبيه على الباطل كقوله

وما الفِرارُ إلى الأجبالِ من أسَدٍ تمشي النَعامُ به في معقلِ الوَعِلِ

وربما منه قول الآخر

ماذا يُريدُ العاذِلونَ بعَذْلِ من لَبِسَ الخلاعَةَ وَاستراحَ وراحا

(٦) التحقير نحو « اهذا الذي بعث الله رسولاً » وكقوله

فمَنْ انتمُ إنّا نسينا مَنِ انتمُ ورِيحُكمُ من اينِ ريحِ الأعاصرِ

(٧) الوعيد ومثلوا له بقولهم « الم أؤدّب فلاناً » نقوله لمن يسيء الادب وارى منه قول بشر يخاطب الاسد

نصحتكَ فاتخذْ يا ليثُ غيري طعاماً إنّ لحمي كانَ مُرّا
ألم يَبلُغكَ ما صنَعَتْهُ كفّي بكاظِمةٍ غَداةَ لَقِيتُ عَمْرا

(٨) للتشويق والترغيب نحو « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » « هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم » ومن باب التشويق الاغراء وشاهده ما نقل عن لسان ابليس يخاطب ابا نواس في منامه قال

نِمتُ وإبليسُ اتى بحيلةٍ مُتدَبِّهْ
فقالَ ليْ هل لكَ في جاريةٍ مُطيَبِّهْ

الى آخر الابيات فانها ضرب من الاغراء ولا يذهب عنك التشوق فانه مما يراد بالاستفهام كثيراً وارى منه اكثر الهلاّت في قصيدة ابن الفارض العينية ومنها

وهل أرِدَنْ ماءَ العُذَيبِ وحاجرٍ جِهاراً وسِرُّ اللّيلِ بالصُّبحِ شائعُ

(٩) التمني كقوله

متى أنا في رَكْبٍ يؤمّونَ منزِلاً توحّدَ من شخصِ الشّريفِ بأوحدِ

ونحو : ألم يرَ هذا اللّيلُ عينَيكَ رُؤْيتي فتظهرَ فيهِ رِقّةٌ ونُحولُ

ولقرب التشوق من التمني فقد يظهران في مظهر واحد كما لا يخفى على متأمل فان المتشوق الى ديار احبته يتمنى كل مستحب لها ويتمنى بقاءها على ما كانت عليه من النضارة والنعيم فضلاً عن تمني القرب والله اعلم

(١٠) الانكار وهو ان كان بالهمزة فاولى ان يليها المنكر من (فعل) كقوله

أَينكِرُ خَدّي دُموعي وقَد جَرَتْ منهُ في مَسلَكٍ سابِلِ

او (فاعل) كقوله

أَأَوّلُ دَمعٍ جَرى فوقَهُ وَأَوّلُ حُزنٍ عَلَى راحِلِ

او (مفعول به) كقوله

أَقَرارًا الذُّ فوقَ شَرّارٍ ومَرامًا ابغي وظُلمي يُرامُ
دونَ أَنْ يَشرَقَ الحِجازُ ونَجْدٌ والعِراقانِ بالقَنا وَالشّآمُ

او غير ذلك كالظرف والمجرور نحو قوله

أَمِنّي تَخافُ انتِشارَ الحَديثِ وحظّيَ في سَترِهِ اوفَرُ

ونحو: يَقُولُ بِشِعبِ بَوّانٍ حِصاني أَعَنْ هذا يُسارُ الى الطِّعانِ

ونحو: أَبَعْدَ المَشيبِ المُنتَضى في الذوائِبِ أُحاولُ لُطفَ الوُدِّ عِندَ الكَواعِبِ

واما ان كان بغير الهمزة من بقية الادوات فلا يلزم فيها ما لزم مع الهمزة من ابلاء المنكر لها وامثلة الاستفهام الانكاري اكثر من ان تحصى

ولما كان المراد به انكار حكم الجملة بعده ترتب على ذلك ان ينقلب حكم الجملة من اثبات الى نفي وبالعكس فاذا دخل على الجملة المثبتة انقلبت الى منفية كقوله

تَهَدَّدَنا وَأَوعَدَنا رُوَيداً متى كُنّا لِأُمِّكَ مُقتوِينا

ونحو: وهل يَشِينُكَ وقتٌ كنتَ فارِسَهُ وكانَ غيرَكَ فيهِ العاجزُ الضَّرِعُ

ونحو: وهل يَنفَعُ الجيشُ الكثيرُ التفافُهُ على غيرِ منصورٍ وغيرِ مُعانِ

ونحو: وتَملِكُ أَنفُسَ الثَّقَلَينِ طُرًّا فَكيفَ تحوزُ انفُسَها كِلابُ

ونحو: متى يبلُغُ البُنيانُ يومًا تمامَهُ إذا كُنتَ تبنيهِ وغيرُكَ يهدِمُ

ونحو: ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ

واذا دخل على المنفية انقلبت الى مثبتة نحو« الم نشرح لك صدرك» « الم يجدك يتيماً »

وكقوله: أليسَ وعَدتني يا قلبُ أنّي اذا ما تُبتُ عن ليلى تَتُوبُ
فها أنا تائبٌ عن حبِّ ليلى فمالكَ كلَّما ذُكِرَتْ تذوبُ

ونحو: إليكمْ يا بني بكرٍ إليكمْ ألَمّا تعلموا منّا اليقينا
ألَما تعلموا منّا ومنكم كتائبَ يَطعَنَ ويَرتمينا

وكثيراً ما يكون الانكار بمعنى ينبغي او لا ينبغي كقوله

أتلومُني يا عاذِلي في حبِّ من يَحكي القمرْ

ونحو: أأطرحُ المجدَ عن كتفي واطلُبُهُ وأترُكُ الغَيثَ في غِمدِي وانجعُ

ونحو: وكيفَ يتمُّ بأسُكَ في أُناسٍ تُصيبُهُمُ فيؤلِمُكَ المُصابُ

اي لا ينبغي ان تلومني ولا ينبغي ان اطرح المجد ولا ان اترك الغيث ولا ينبغي ان يتم باسك

ونحو: ألَم يسألِ الوَبْلُ الذي رامَ ثَينَا فيُخبرَهُ عنكَ الحديدُ المُثلَّمُ

اي كان ينبغي ان يسأل وشواهد ذلك كثيرة لا تخفى على المتأمل

واعلم انه يتولد من الانكار معانٍ كثيرة بحسب مقامات الكلام لاتخفى على اللبيب كالتوبيخ والتجهيل والتكذيب والتهكم وكالتاسف والمدح والذم وكالوعيد والتهويل وقد يجتمع في الجملة الواحدة اكثر من معنى واحد من هذه المعاني ومدرك كلّ ذلك انما هو سلامة الذوق ويعين عليه تتبع تراكيب البلغاء واشعارهم فلا ينبغي ان تقتصر على معنى سمعته او مثال وجدته بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تنبيه : اذا كان الاستفهام لغير طلب الفهم كثر توارد الاداتين هل والهمزة على الاسم بعدهُ فعله او على الفعل ايضاً من غير تحرُّج في الاستعمال فمن القبيل الاوّل قول الامام ابن الفارض رحمه الله

أَبَرْقٌ بَدا من جانبِ الغَوْرِ لامعُ ... أَمِ ارْتَفَعَتْ عن وَجهِ ليلى البَراقعُ
أَنارُ الغَضا ضاءَت وسلمى بِذِي الغَضا ... امِ ابتسمتْ عمَّا حكتهُ المَدامعُ
أَنَشْرُ الخُزامى فاحَ ام عَرْفُ حاجزٍ ... بأُمِّ القُرَى ام عِطْرُ عَزَّةَ ضائعُ

الى ان يقول

وهل عَذَباتُ الرَّندِ يُقطَفُ نورُها ... وهل سَلَماتٌ بالحِجازِ ايانعُ
وهل ظَبيَاتُ الرَّقمتينِ بُعَيْدَنا ... أَقَمنَ بِهـا ام دونَ ذلكَ مانعُ
وهل فَتَيـاتٌ بالغُوَيرِ يُرِينَني ... مَرَابعَ نُعمٍ نِعمَ تلكَ المرابعُ

ومن القبيل الثاني قول المتنبي

أُأُحِبُّهُ وأُحبُّ فيهِ مَلامَةً ... إنَّ المَلامَةَ فيهِ من اعدائِهِ
وهل يَثِينُكَ وقتٌ كنتَ فارِسَهُ ... وكانَ غيرَكَ فيهِ العاجزُ الضَّرِعُ

فان الاستفهام في البيتين للانكار كما هو ظاهر وقد ادخل الهمزة على الفعل في البيت الاول وهل عليه في البيت الثاني وامثلة ذلك كثيرة لا تراهم يتحرجون فيها باستعمال اداة دون اختها

واما اذا كان الاستفهام لطلب الفهم فالاولى ان لا تدخل هل على الاسم بعدهُ فعلهُ في غير محافظة على وزنٍ او قافية وشبهها الاَّ اذا أُريد الاختصاص بالسؤال عن ذلك الاسم بعينه وان لا تدخل الهمزة على الفعل الاَّ اذا كان بطلب الاقرار به وما خرج عن ذلك فمن قبيل الرجوع الى الاصل في استعمال كلٍّ من الاداتين مكان الاخرى والنحاة لا يمنعونه على ما اعلم بل اختلفوا في طلب التعيين اخاصٌّ بالهمزة ام يجوز استعمال هل فيه فمنهم من منع استعمالها ومنهم من اجازه وتمسك المجيزون بالحديث « هل تزوجت بكراً ام ثيباً » وقالوا في هل انها هنا لطلب التعيين والذي اراه منع انَّ مساق الحديث كان طلباً للتعيين واليك البيان

اعلم أنه لا يلزم في كل جملة ظاهرها مشابه لظاهر الجملة المطلوب فيها التعيين كجملة

الحديث هذه ان تكون لطلب التعيين حتى تلزم معها الهمزة فانّ طلب التعيين يقتضي سبق تصور كلٍّ من المتعادلين وتصوُّر الامر الثالث الذي له تعلق باحدهما على غير تعيين وكل ذلك غير متحقق في جملة الحديث فان الرسول لما رأى جابراً وكان يعرفهُ عزباً خطرله ان يسأله عما اذا كان قد تزوج ثمّ خطر له متعلق الفعل فقال بكراً ام ثيباً وقدّم البكر لان الغالب ان يتزوج العزب بكراً وكل ذلك موافق لسلسلة ائتلاف الافكار الطبيعية والالفاظ فيها وفقاً للمعاني بحسب ورودها على الذهن كما هو المقتضي . والقول ان الرسول تصور البكر والثيب والتزوج ثم طلب من جابر التعيين وجاء بهل دون الهمزة خلافاً لمتعارف الفصحاء انما هو قول من غفل عن شريعة الفكر ومجرى سلسلة الافكار الطبيعية ولما كان متعلق الفعل تزوجت (اعني بكراً ام ثيباً) ينتقل فيه الذهن بسرعة من الاول الى الثاني لما بينهما من شدّة الاتصال الذهني استعملت ام دون او لان لفظ ام اشدّ اتصالاً بما بعده من لفظ او على ما ارى

وعلى مثل ذلك يجب عندي ان نتأوّل ما يجيء في مواضيع المباحثات كقولك مثلاً « هل يتوقف تقدم البلاد على العلم ام على الصناعة » فانها جائزة وتخرّج على غير طلب التعيين واما العاطف « او » و « ام » فيصح لك استعمال ايهما شئت الاّ انه اذا كان الارتباط الذهني بين المتعاطفين شديداً فلفظ ام انسب والاّ فلفظ او والله يعلم وانتم لا تعلمون

الامر والنهي

والاول طلب انشاء الفعل والثاني طلب الكفّ عنه من الفاعل الا انه لما كان الطالب قد يكون اعلى او ادنى او مساوياً للمطلوب منه كقول السيد لعبده « اذهب الى مكان كذا » وكقول العبد لسيده « ايذن لي ان اذهب الى مكان كذا » وكقول الاخ لاخيه والصديق لصديقه « أعطني كذا » اختلفوا في تسمية هذا الطلب فقال الاكثرون لا يسمى امراً الا اذا كان الطالب

من الاعلى الى الادنى فاما اذا كان من الادنى الى الاعلى فيسمى دعاءً او من النظير والمساوي فالتماسًا . والحق انه اختلاف لفظي منشاه اللغة بداعي ما يتبادر الى الذهن من لفظة الامر فان الامر بحسب هذا المتبادر يفهم منه الطلب من الاعلى الى الادنى والمراد به في الاصطلاح مجرد الطلب من غير قيد وهذا بحث يدق على الطلبة لما فيه من المخادعة اللفظية فالاولى ترك التطويل فيه والاكتفاء بما ذكرنا واهم من ذلك ان نذكر لك انه اذا تعذَّر حمل صيغة الامر على اصل معناها اي ارادة طلب انشاء الفعل تولد من ذلك معانٍ تختلف بحسب اختلاف المقام ومن هذه المعاني

(١) الاباحة كقولهم «جالس الحسن او ابن سيرين» وكقول التنزيل «كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الصبح» فان تقيد الفعل بحتى التي لانتهاء الغاية يمنع من حمل الصيغة على اصل معناها والا لزم الاكل والشرب كل تلك المدة ولا قائل به بل ليس من قائل بوجوب الاكل في بعض تلك المدة والمعروف ان في ترك الاكل اذا امكن زيادة في الاجر ايضًا . فان قلت وهل يوجب الامر انشاء الفعل ضرورة قلت ذلك يختلف باختلاف الآمر او الطالب فان كان الآمر الله كما في هذه الاية وجب على المأمور انشاء الفعل وفقًا لمشيئة الامر وكل ذلك من مسائل الفقه واشباع الكلام فيه خارج عن بحث المعاني

(٢) التهديد نحو «اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير» فان التعميم المفهوم من القيد بما شئتم وقرينة الحال الواردة فيه الآية كل ذلك يمنع من ارادة طلب انشاء الفعل ويعين ارادة التهديد

(٣) التعجيز نحو « فاتوا بسورة من مثله » ونحو « فاسقط علينا كسفاً من السماء » فان العلم بعدم استطاعتهم على الاتيان وزعمهم عدم القدرة على الاسقاط كل ذلك يمنع من ارادة طلب الانشاء والمقام يعين ان المراد التعجيز

(٤) التهكم ومنه قول المتنبي على الارجح

خُذوا ما أتاكمْ بهِ وَاعْذِروا فَإِنَّ الغنيمةَ في العَاجِلِ
وَإِنْ كانَ اعجَبكمْ عامُكمْ فَعُودُوا إلى حِمْصَ في القَابِلِ
فإنَّ الحسامَ الخَضِيبَ الذي قُتِلْتمْ بِهِ في يَدِ القَائلِ

(٥) الاهانة كقوله

قال قومٌ لا نعرفُ العِشقَ اصلاً قُلتُ كونوا حجارةً او حديدا

فان الغرض اهانتهم وقلة المبالاة بهم كما في جوابك لمن يقول لك « ان لم ترضني اصر مجوسياً » فتقول له « صر شيطاناً »

(٦) التسوية « واسرُّوا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور » والفرق بين التسوية والاباحة انَّ المخاطب في الاباحة كانه توهم ان ليس يجوز الاتيان بالفعل فابيح واذن له فيه مع عدم الحرج في الترك وفي التسوية كانه توهم ان احد الطرفين من الاسرار والجهر انفع وارجح بالنسبة اليه فرفع ذلك التوهم وسوّى بينهما

(٧) التمني كقولك « اصبح يا ليل » فان طلب الاصباح من الليل متحقق عدم امكانه فحمل الكلام على التمني الدال عليه المقام وعليه قول امرىء القيس

الاَ ايُّها اللَّيلُ الطَّويلُ الاَ انْجَلِ بِصُبْحٍ وَما الإِصْباحُ منكَ بأَمثَلِ

فليس غرضه طلب الانجلاء من الليل لانَّ الليل لا يقدر على الانجلاء

لكنه يتمنى ذلك تخلصاً عما عرض له فيه من تباريح الجوى . ويقرب من التمني التشوق على ما جاء في نشيد الانشاد « استيقظي يا ريح الشمال وتعالي يا ريح الجنوب هبي على جنتي فتقطر اطيابها ليأت حبيبي الى جنته ويأكل ثمره النفيس » فان شذا التشوق يتضوع من خلال هذه الايات على ما ارجح

(٨) لطلب دوام الفعل على سبيل الدعاء او لطلب الثبات على ما هو عليه المخاطب

كقوله : عِشْ ما بدا لكَ سالماً في ظِلِّ شاهقةِ القُصورِ

وكقول الآخر

أَجْرِ الجيادَ على ما كُنتَ مُجرِيَها وخُذْ بنفسِكَ في اخلاقِكَ الأُوَلِ

واعلم ان بعض هذه الاغراض قد تجيء مع النهي كالتهديد نحو « لا تطيعوا الله وانظروا العاقبة » وكالتسوية نحو « اصبروا او لا تصبروا » والله اعلم

فائدة جليلة

ذكر صاحب التلخيص انّ هذه الاربعة اعني التمني والاستفهام والامر والنهي يجوز تقدير الشرط بعدها وايراد الجزاء عقيبها مجزوماً بان المضمرة مع الشرط . وقد تصدى العلامة التفتازاني لبيان التعليل المسوغ لهذا التقدير فجاء بما هو غاية . وقد ذُكر لذلك وجهان نوردهما لك بحروفهما [1] قال

« وقد ذكر في تحقيقه وجهان (احدهما) ان هذه الاربعة فيها معنى الطلب والطلب لا ينفك عن سبب حامل للطالب على ذلك الطلب فوجود ذلك السبب الحامل مسبب عن ذلك الطلب في الخارج لان العلة الغائية بوجودها معلولة بالعلة الفاعلية وان كانت بماهيتها علة لعلية العلة الفاعلية ولهذا قالوا ان العلة الغائية تتقدم في الذهن على المعلول وتتاخر في الخارج عنه وهذا معنى قولهم اول الفكر آخر العمل . ولما كان ذلك اعني كون وجود السبب الحامل مسبباً عن الطلب في الخارج مفهوماً من ذكر الطلب ودل عليه ذكره المسبب الذي يصلح

(١) المطول طبع الاستانة وجه ٢٤٢ و٢٤٣

سبباً حاملاً عليه اغنت هذه القرينة عن ذكر حرف الشرط والسبب اذ ليس معنى الشرط والجزاء الاَّ سببية الاول ومسببية الثاني فالمخزم السبب الحامل بان مقدرة بعد هذه الاشياء

(وثانيهما) ان كل كلام لا بد فيه من حامل للمتكلم عليه والحامل على الكلام الخبري افادة المخاطب بمضمونه وعلى الطلبي كون المطلوب مقصود المتكلم اما لذاته اولغيره يعني يتوقف ذلك الغير على حصوله وتوقف غيره على حصوله هو معنى الشرط فاذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده ما يصلح توقفه على المطلوب جوَّزَ المخاطب كون ذلك المطلوب مقصوداً لنفسه ولغيره وان ذكرت بعد ذلك غلب على ظنه كون المطلوب مقصوداً لذلك المذكور لا لنفسه فيكون اذن معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهراً هذا اذا كان المذكور بعد هذه الاربعة صالحاً لأن يكون جزاءً من مفهومها وقصد به السببية بخلاف قولنا (اين بيتك اضرب زيداً في السوق) اذ لا معنى لقولنا ان تعرفنيه اضرب زيداً في السوق واما قوله تعالى « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة » فلان الشرط لا يلزم ان يكون علة تامة لحصول الجزاء بل يكفي في ذلك توقف الجزاء عليه وان كان متوقفاً على شيء آخر (نحو ان توضأت صحت صلاتك)واذا لم يقصد السببية يبقى المضارع على رفعه اما حالاً (نحو ذرهم في حوضهم يلعبون)او وصفاً نحو (اكرم رجلاً يحبك) او استئنافاً اي جواباً عن سؤال يتضمنه ما قبله نحو (قم يدعونك) — انتهى

الندا

الندا هو طلب الاقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظاً وتقديراً وادواته معلومة على ما مرَّ بك في كتب النحو بقي ان تعرف في ماذا قد يستعمل الندا ونذكر لك هنا خلاصة ما ذكره صاحبا التلخيص والمطول قالا

وقد تستعمل صيغته في غير معناه (كالاغراء) في قولك لمن اقبل يتظلم «يامظلوم» فان الغرض اغراؤه على زيادة التظلم وبث الشكوى . و (الاختصاص) واحسن صوره واقربها الى الفهم ما قام فيها مقام ايّ اسم منصوب اما معرَّف باللام نحو « نحنُ العربَ أقرى الناس للضيف » او مضاف نحو

إنّا بني نَهشَلٍ لا نَدَّعي لِأَبٍ عنهُ ولا هوَ بالأبناءِ يَشرِينا

قال الامام المرزوقي الفرق بين ان ينصب بني نهشل على الاختصاص وبين ان يرفع على الخبرية هو انه لو جعله خبراً لكان قصده الى تعريف نفسه عند المخاطب وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم واذا نصب أمن ذلك فقال مفتخراً «انا (اذكر من لا يخفى شأنه) لا نفعل كذا وكذا». ومما يستعمل فيه النداء (الاستغاثة) نحو «يا لله من الم الفراق» ومنها (التعجب) نحو «يا للماء» و«يا لك من ليلٍ» كانه لغرابته يدعوه ويستحضره ليتعجب منه ومنها (التدله) (والتحير) و(التضجر) كما في نداء الاطلال والمنازل والمطايا ونحو ذلك كقوله «يا منازل سلمى اين سلماك»

يا ناقُ جِدّي فقد أفنَتْ أناتُكِ بي صبري وعُمْري وأحلامي وأنساعي

ومنها التوجع والتحسر كقوله

فيا قبرَ معنٍ كيفَ وارَيتَ جُودَهُ وقد كانَ منهُ البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا

وكقوله «يا عين بكي عند كل صباح» ومنها (الندبة) كقولك يا «محمداه» كانك تدعوه وتقول تعال فانا مشتاق اليك (انتهى)

الايجاز والاطناب والمساواة

وهي من الاوصاف التي تتصف بها الجملة لامن العوارض التي تعرض لها فان الجملة بعد اذ تعرض لها عوارض من الحذف والذكر والاتباع والفصل واشباه ذلك على ما تقدم معنا تستقل بوصف من الاوصاف المذكورة اعلاه فيقال انها موجزة او فيها اطناب او مساواة الاّ انّ المساواة ضرب من الايجاز فلا

يذهب عليك ذلك . ولنتقدم الآن الى بيان معاني هذه الاوصاف في الجملة مع ذكر ملاحظات لا تخلو من فائدة

الايجاز

تعريف الايجاز

الايجاز هو اخصر طريق لاحضار المعنى المراد الى ذهن السامع ولا يلزم من كونه اخصر طريق ان يكون احسن طريق دائماً فانّ من الطرق القريبة المسافة ما يفضل التنكب عنها لما فيها من المخاطر او لما فيها من المشقة على السالك اما لوعرة مسالكها او لضعف قوة السالك فيها عن ان توفي بقطعها

واذا جاز لنا ان نشبه الجملة بالطريق لما ان كلاً منهما واسطة لابدّ من المرور عليها للوصول الى ما يراد الوصول اليه . فلنا ان نقول ان افضل الطرق ما اوصلت الى المحل المقصود باقرب مدة مع ارتياح السالك اليها اثناء سلوكه فيها ولاينتج من هذا ان افضل الطرق اقربها مسافة لان من الطرق القريبة المسافة ما لا يستطاع قطعها لما فيها من وعرة المسالك وصعوبة المرتقيات ومن هذه ايضاً ما اذا تيسر قطعها فقد لا يتهيأ للسالك ذلك الاّ في مدة تزيد عن مدة غيرها من الطرق السهلة او تساويها ومنها ما اذا تيسر قطعها في مدة دون المدة اللازمة لقطع غيرها وصل السالك الى نهايتها تعباً دامي الاقدام لا يستطيع ملاحقة السير فيفوته من كان قد تأخر عنه ممن سار على غيرها . جميع هذه الطرق وان كانت اقصر مسافة فعلى الدليل الحاذق ان لايحمل السالكين عليها . ولا تفضل مختصرات الطرق الاّ بشروط هي ان توصل الى المحل المقصود اولاً ، وان توصل اليه باقرب مدة ثانياً ، وان لا ينال السالك منها تعباً يحول بينه وبين

ملاحقة السير او اذا كان قد انتهى به السير فان لا يتأذى بها بما ينهك بدنه ويورثه وهناً يستمر به اياماً ثالثاً . وعلى الدليل ان يعتبر حال تابعيه في الشدة والضعف فلا يغرّر بضعفاء البنية وواهني القوة فكم من طريق يسلكها الشبان شديدو البنية ولا يقوى عليها المستضعفون من الرجال والنساء . وهذه حال الكاتب فانه كالدليل فعليه لذلك ان يعتبر حال القراء فلا يسلك بهم سبل الايجاز الا اذا كان يعلم قدرتهم على فهم المعاني المرادة معه بسهولة . وما حملني على الاستطراد الى ما ذكرت الا ما خطر لي في شان كتابة علماء البيان عندنا فانهم كتبوا للعلماء دون المبتدئين ولذلك احتاجت كتاباتهم الاً ما ندر الى شرح وشرح الشرح ولكن المتأمل يعلم ان الشرح يصعب على القاري كما يصعب عليه الايجاز لاقتضائه ان يفهم القاري في وقت واحد ما يريده الماتن والشارح ويتابع سلسلة افكارهما وفي هذا من الصعوبة ما لا يقلّ عن صعوبة الايجاز ان لم نقل انه يزيد عليها . ولنرجع بعد هذا الاستطراد الى موضوع كلامنا

قلنا ان الايجاز اخصر طريق لاحضار المعنى المراد الى ذهن السامع وقلنا ايضاً انه لا يلزم من كونه اخصر طريق ان يكون افضل طريق دائماً فانك اذا اعتبرت الجمل الاتية « ربي شخت . ربي اني شخت . ربي وهن العظم مني . ربي اني وهن العظم مني . ربي وهن العظم مني واشتعل الراس شيباً . ربي اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيباً » علمت ان جميعها تودّي معنى واحداً وان اخصرها الاولى وهي « ربي شخت » الا انها ليست افضل من الاخيرة وهي « ربي اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيباً » وذلك لان الجملة الاولى لا تحضر عند اول سماعها الى ذهن السامع ما اراده القائل من تصوير ما صارت

اليه حاله من الضعف ووهن العظام ولون المشيب ولا تنقل الى النفس احساس التاسف والتحسر على مثل ما هما في نفس المتكلم وفقاً لما يقصده بعبارته ولذلك فوضع الجملة الاولى موضع الاخيرة على ما فيها من قلة الالفاظ مغاير للبلاغة ومخالف لمقتضاها كل المخالفة . على انك اذا قلت مثلاً « اذا شاخ المرء فعلى لذاذات الحياة السلام» لا يحسن ان نضع موضعها «اذا وهن عظم المرء واشتعل رأسه شيباً فعلى لذاذات الحياة السلام » لان المقصود ليس الى تصوير الحالة ولا الى اظهار تاسف وتحسر انما المقصود بيان انه اذا مضى الشباب مضت معه لذاذات الحياة ومضيُّ الشباب يفهم من قولنا شاخ المرء كما يفهم من قولنا وهن عظمه واشتعل راسه شيباً فتأمل . وليرسخ في ذهنك ان ليس كل ايجاز بل بالحري ليس كل اختصار بليغاً يفضل على غيره بل ايجاز البليغ ما وافق موضعه والغاية المسوق اليها والاَّ فلا

اقسام الايجاز

الايجاز يقسم الى قسمين ايجاز بحذف وايجاز بغير حذف والثاني اما ان يكون ايجاز تقدير او ايجاز قصر فصارت جملة الاقسام ثلاثة اليك الكلام في كل قسم منها على حدة

ايجاز الحذف : علمت من تسمية هذا القسم ما المراد منه وقبل ان نشير لك الى نوع المحذوف ما هو لا نرى بداً من مراجعة ما تهم معرفته من شروط الحذف ومسوغاته . واول هذه الشروط ان يدل دليل على الحذف وآخر على تعيين المحذوف . وثانيها ان يكون رونق الكلام مع الحذف اطلى واشهى منه بدونه وهذا امر تعرفه بالسليقة وحسن الذوق فلا تحذف اذن الاَّ اذا رايت الطبع

يدفعك الى الحذف وحسن الذوق يؤذن لك به. وثالثها ان يبقى الكلام على ما كان له من سهولة الفهم فاذا ادى الحذف الى صعوبة فهم المراد فاياك واياً الحذف وان في النظم فان الحذف يعدُّ لك حينئذ من قبيل الاضطرار لا من قبيل البلاغة ولا تخادع نفسك ببعض ما ورد في ايات التنزيل فانه قد تهيأ لتلك من الظروف ومقتضيات الاحوال التي آذنت بالحذف غير ما يمكن ان يتهيأ لك فضلاً عن انك لاتجد من ينزّل لك كلامك بمنزلة كلام التنزيل ولا من يحرص على تراكيب الفاظه ويتصدى لبيان ما تودعه فيها من المعاني الغامضة بل قد لا تجد من يحفل بكلامك غير نفسك فان لم يكن مما تتشرّبه الاعين والآذان بغير استئذان فلا من يقدره ما يستحقه الاّ القليل من المنصفين فلا يدليك اذن الغرور الى تحدي القرآن وتقليد ما فيه من ايجازات احتاجت الى كبار المفسرين لبيان المحذوف منها فانك تكون بذلك قد اصبت من مقاتلك وانت لا تدري بما وضعت من نفسك في غير موضعها وما رفعت من درجة كلامك الى درجة غير بالغها . واذا علمت هذه الشروط الثلاثة فلنتقدم الان الى ذكر ما ينبهك الى نوع المحذوف فتتفطن له في كلام الغير حالما يمرُّ بسمعك وتقيس عليه المحذوف في كلامك فنقول :

المحذوف قد يكون

(١) جزءَ جملة مضافاً نحو «واسأل القرية التي كنا فيها» اي اهل القرية ونحو «وحينئذٍ خرج اليه اورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالاردن» وكقولك «لامني العاذل فيه» اي في حبه وهلمّ جرًّا

(٢) جزءَ جملة مضافاً اليه نحو «وواعدنا موسى اربعين ليلة واتممناها

بعشر » اي بعشر ليالٍ ونحو « لله الامر من قبل ومن بعدُ » اي من قبل ذلك ومن بعده

(٣) جزء جملة موصوفاً « نحو آمن وعمل صالحاً » وكقول البحتري في صفة ايوان كسرى وما فيه من التصاوير

وإذا ما رأيتَ صورةَ إنطا (م) كيةَ ارتعتَ بينَ رُومٍ وفُرسِ
والمنايا مواثلٌ وأنو شَرْ (م) وان يرمي الصفوفَ تحتَ الدِّرفسِ
في أخضرارٍ منَ اللباسِ على اصـ فرَ يختالُ في صبيغةِ وَرسِ

اي على فرس اصفر وكقول الآخر

ما لكَ عندي غيرُ سهمٍ وحجرْ وغيرُ كبداءَ شديدةِ الوترْ

اي قوس كبداء واعلم ان الصفات الخاصة بموصوف يفهم منها كعاقل ومذنب وشاعر وكاتب وامثال هذه تنوب مناب موصوفاتها وهو كثير شائع بخلاف الصفات التي مَثَّلَ لها فانها لما كانت لاتختص بنوع موصوف كان لابد أن يتقدم عليه او يتأخر عنها ما يدل على الموصوف عند حذفه ولا يستهويك ما وردمن الحذف في بعض المعلقات فتقيس عليه من غير اعتبار ما ذكرناه لك

(٤) جزء جملة صفة وهو اقل وجوداً من حذف الموصوف واقامة الصفة مكانه ولا يكاد يقع في الكلام الا نادراً لمكان استبهامه كقولك عن زيدٍ مثلاً في اثناء حديث مساقٍ لمدحه « كان والله رجلاً » اي رجلاً فاضلاً او كريماً اوشجاعاً وما جرى هذا المجرى فان خلا المقام عن تعيين الصفة فلا بدَّ ان يتقدم عليها اويتأخر عنها في الكلام ما يدلُّ عليها نحو قوله « اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ

كل سفينة غصباً » اي كل سفينة صحيحة غصباً وقد دل على هذا المحذوف قوله فاردت ان اعيبها وكقول الشاعر

كُلُّ اُمرِئٍ سَتَئِيمُ منْ (م)هُ العِرْسُ او منها يَئِيمْ

فانه اراد كل امرء متزوج لدلالة ما بعده عليه اي ستئيم منه او يئيم منها اذ لا تئيم هي الاَّ من زوج ولا يئيم هو الاَّ من زوجة ومثله قول ابي الطيب

اُهِمُّ بشيءٍ وَاللَّيالي كأَنَّها تُطارِدُني عن كَونِهِ وأُطارِدُ
وَحِيدٌ منَ الخُلاَّنِ في كلِّ بَلدَةٍ إِذا عَظُمَ المَطلوبُ قَلَّ المُساعِدُ

اي اهمُّ بشيءٍ عظيم دلَّ عليه البيت بعده

(٥) جزء جملة مفعولاً به وهو كثير شائع صريحاً كقوله

يابارِقًا بأَعالي الرَّقمَتَيْنِ بَدَا لقدْ حكَيتَ ولكن فاتَكَ الشَّنَبُ

اي حكيت ثغره او غير صريح كقوله

فَدَنوتُمْ ودُنوِّكُم من عِندِهِ وسَمحتمُ وسَماحُكمْ من مالِهِ

اي فدنوتم منه وسمحتم له ان يواصل وكقول الآخر

وأَقضِي عَلَى نفسي اذا الأَمرُ نابني وفي الناسِ مَنْ يُقضَى عليهِ وَلاَ يَقضي

اي ولا يقضي على نفسه

(٦) قد يكون المحذوف ما يجيء بعد افعل التفضيل كقولنا « الله اكبر » اي من كل كبير وكقولهم « زيد احسن وجهاً واكرم خلقاً » اي من غيره وعليه قول الشاعر

أَللهُ اعطاكَ المحبةَ في الورَى وحَباكَ بالفَضلِ الذي لا يُنكَرُ
وَلأَنتَ أَملأُ في العُيونِ لديهِمِ وأَجلُّ قدراً في النُّفُوسِ وأَكبرُ

اي من غيرك

(٧) قد يكون المحذوف مايجيء بعد الاَّ الاستثنائية كقوله

لا يَعرِفُ الشَّوقَ إلاَّ وَلا الصَّبابةَ إلاَّ

اي

لا يَعرِفُ الشَّوقَ إلاَّ منْ يكابِدُهُ ولا الصَّبابةَ الاَّ منْ يُعانيها

وكقول الآخر

ولَثَمتُهُ في خَدِّهِ تِسعينَ اوتِسعينَ الاَّ

اي الاَّ واحدةً وفي البيت الاول من التلميح ما لا يخفى

(٨) وقد يكون المحذوف جواب الشرط اوفعله او كلاهما معًا وامثلة ذلك كثيرة فمن حذف نحو قوله « لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون » اي لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء وعليه قول ابي تمام

لو يَعلمُ الكُفرُ كم من أَعصُرٍ كَمَنَتْ له المَنيَّةُ بينَ السُّمرِ والقُضُبِ

اي لاخذ اهبة الحذار او ما يقاربه

ومن حذف الفعل قوله

لو كُنتُ من مازنٍ لم تَستبحْ إبِلي بنو اُللَّقيطةِ من ذُهلِ بنِ شَيبانا
إذَنْ لَقامَ بِنَصري مَعشَرٌ خَشُنٌ عندَ الحفيظةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لانا

اي اذا لو كنت منهم لقام او اذ لو كانوا قومي لقام

واما حذف الفعل والجواب معًا فكقوله

شهرُ الصِّيامِ تَقَضَّى وشهرُ شَوَّالٍ هَلاَّ
وقد حَضرنا جميعًا فإن حَضرتَ وإلاَّ

اي فان حضرت فاهلاً وسهلاً مثلاً وان لم تحضر فلا حاجة بنا اليك ومثله قول الآخر

فوضعتُ في طوقي يدَيَّ (م) وقلتُ خلوني وإلاَّ

اي وان لم تخلوني شققت طوقي

وقد يحذف الفعل وهو غير فعل شرط ولا جوابه كقول الشاعر

اذا التوديع أعرَضَ قالَ قلبي عليكَ الصَّمتَ لا صاحبتَ فاكا
ولولا أنَّ اكثرَ ما تمنَّى معاودةٌ لقلتُ ولا مُناكا

اي ولا صاحبت مناك . ثم قال

ولا ارضى لمُقلتهِ بحُلمٍ إذا انتبهتْ توهَّمهُ أبتشاكا
ولا إلاَّ بأن يُصغي وأحكي فليتكَ لا يتيمهُ هواكا

اي ولا أرضى الا بان وقد يكون المحذوف جملة اسمية والحذف من قبيل الاضمار على شريطة التفسير كقول ابي نواس

سُنَّةُ العُشَّاقِ واحدةٌ فاذا أحببتَ فاستكنِ

اي سنة العشاق واحدة وهي الاستكانه[1] .

ايجاز التقدير : والكلام الذي يوصف بايجاز التقدير هو ما ساوى لفظه معناه وعلى ما حدَّه ابن الاثير « هو الذي يمكن التعبير عنه بمثل الفاظه وفي عدتها » نحو « الاعمال بالنيات ولكل امرئٍ ما نوى » . و« المضعف امير الركب » ونحو ما ورد في دعاء الرسول لابي سلمة عند موته « اللهم ارفع درجته في المهتدين واخلفه في عقبه في الغابرين لنا وله يارب العالمين » . وكحديث

(١) راجع المثل السائر طبع بولاق من وجه ٣٠١ — ٣٢٢

الحديبية وهو انه جاء بديل بن ورقاء الى النبي (صلعم) فقال له « اني تركت كعب بن لوي بن عامر بن لوى معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت » فقال له الرسول (صلعم) « ان قريشاً قد نهكتهم الحرب فان شاؤا ماددناهم مدة ويدعوا بيني وبين الناس فان اظهر عليهم واحبوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس والا كانوا قد جمّوا وان ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي هذه ولينفذنّ الله امره »

ومن هذا النمط كتاب طاهر بن حسين الى المامون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه اياه وقتله وصورة الكتاب هذه « كتابي الى امير المؤمنين وراس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه في يدي وعسكره مصرَّف تحت امري والسلام » ومما جاء منه شعراً واستشهد به العلامة ابن الاثير قول النابغة

وإنّكَ كاللّيلِ الذي هوَ مُدركي ... وإنْ خِلْتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسعُ

وقوله : ولستَ بمُستبقٍ اخاً لا تلُمّهُ ... علَى شعَثٍ ايُّ الرّجالِ المُهذّبُ

ونحو : وما لِامْرِئٍ حاولتَهُ عنكَ مهربٌ ... ولو حمَلتهُ في السّماءِ المطالعُ

بَلى هاربٌ لا يهتدي لِمكانهِ ... ظلامٌ ولا ضوءٌ منَ الصّبحِ ساطعُ

وكقول ابي نواس

ودارِ ندامى عطّلوها وأدْلَجوا ... بها اثرٌ منها جديدٌ ودارسُ

مَساحِبُ من جرّ الرّقاقِ علَى الثّرَى ... واضغاثُ رَيحانٍ جَنيٌّ ويابسُ

حبَستُ بها صَحبي فجدّدتُ عهدَهمْ ... وإني علَى امثالِ تلكَ لحابسُ

تُدارُ علينا الرّاحُ في عَسجَديّةٍ ... حبَتْها بأنواعِ التّصاويرِ فارسُ

قَرارٌ بها كسرى وفي جَنباتها ... مَهاً تدّرِيها بالقسيّ الفوارسُ

فللرّاحِ ما زُرّتْ عليه جُيوبُها ... وللماءِ ما دارتْ عليه القَلانِسُ

روي عن الجاحظ انه قال لا اعرف شعراً يفضل هذه الابيات التي لابي نواس ولقد انشدتها ابا شعيب القلال فقال والله يا ابا عثمان ان هذا لهو الشعر ولو نُقر لطنّ فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف. قال ابن الاثير ولعمري ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فشكر والذي ذكره هو الحق

ايجاز القصر : هو ما زاد معناه على لفظه من غير حذف ومن امثلته قوله « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف » فقوله فله ما سلف من جوامع الكلم ومعناه ان خطاياه الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الا ان قوله فله ما سلف ابلغ اي ان السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك قوله « من كفر فعليه كفره » فعليه كفره كلمة جامعة تغني عن ذكر ضروب من العذاب لان من احاط به كفره فقد احاطت به كل خطيئة. ومنه ما ورد عنه (صلعم) في حديث مطول يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته « ما الاحسان » قال « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » فقوله تعبد الله كأنك تراه من جوامع الكلم لانه ينوب مناب كلام كثير كأنه قال ، تعبد الله مخلصاً في نيتك واقفاً عند ادب الطاعة من الخضوع والخشوع آخذاً اهبة الحذر » واشباه ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظراً اليه استقصى في آداب الخدمة بكل ما يجد اليه السبيل وينتهي اليه الطوق ومنه قوله « فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » فقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع الكلم اي غشيهم من الامور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره وعلى نمط الآية قول ابي نواس

وَلَقَد نَهَزْتُ مَعَ الغُواةِ بِدَلْوِهِمْ وأَسَمْتُ طَرْفَ اللَّحظِ حيثُ أَسامُوا
وبلَغتُ ما بَلَغَ امرُؤٌ بِشبابِهِ فاذا عُصارَةُ كلِّ ذاكَ أَثامُ

ومن ايجاز القصر قول بعض الاعراب في دعائه « اللهم هب لي حقك وارضِ عني خلقك » فقال الرسول « هذا هو البلاغة » ومنه حديث الخراج بالضمان وقول الفقهاء « الغرم بالغنم » ومما ورد منه شعراً قول السموأل

وإن هُوَ لم يحمِلْ عَلَى النَّفسِ ضَيمَها فليسَ الى حُسنِ الثَّناءِ سَبِيلُ

فان ضيم النفس من الكلم الجامعة كما لا يخفى وكذلك قول ابي تمام

وظَلَمتَ نَفسَكَ طالِبًا إنصافَها فَعَجِبتُ من مَظلومةٍ لم تُظلَمِ

ومن الايجاز المشهور الذي يمثل به قوله « ولكم في القصاص حياة » فانه مما لا يمكن التعبير عنه الا بالفاظ كثيرة لان معناه انه اذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل فاوجب ذلك حياة للناس وكذلك جواب معن بن زائدة وقد سأله المنصور العباسي « ايما احب اليك دولتنا ام دولة بني امية » فقال « ذاك اليك » فقوله ذاك اليك من ايجاز القصر الذي لا يمكن التعبير عنه الا بالالفاظ الكثيرة لان معناه انه ان زاد احسانك على احسان بني امية فانتم احب اليّ

ملاحظات على ايجاز التقدير وايجاز القصر

قد علمت ما المراد من ايجاز التقدير وايجاز القصر ووقفت على شيء من امثلتهما الا ان معرفة الحدّ والوقوف على المثل شيء وملكة الاقتدار على الاتيان بالكلام الموجز شيء آخر فان معرفة الحدّ لا تفيد من هذا القبيل شيئاً ولا تغني فيما اذا تصديت للاتيان بالكلام الموجز ولذلك رأينا ان نذكر

بل ان نراجع لك بعض ملاحظات اذا انت اتبعت مآلها انتفعت من معرفة الحد وامكنك الايجاز من قياده واليك اهمها :

(١) راجع معاني المفردات الدائرة بين الكتاب وتحرَّ معرفة اصل الوضع فيها والفرق بين المترادفات منها ومهما امكنك ان تجمع في محفوظك من معاني الالفاظ الاصلية والفرق بين المترادفات منها فافعل

(٢) اكثر من حفظ الكلم الجامعة والعبارات الجامعة وتحرَّ معرفة تمام المراد منها فان قلت ومن اين لي بها فاحفظها قلت عليك بالحديث وما ورد من الامثال المتعارفة المالوفة لعصرنا الحاضر ونوادر البلغاء والفصحاء وما يروى عنهم من الاجوبة المستحسنة والخطب الموجزة فاحفظها جميعها عن ظهر قلبك ولا ياخذك ندم مهما اكثرت منها

(٣) انتقِ من دواوين اكابر الشعراء المشهود لهم بالبلاغة وسمو التركيب افضلها ومن كتب التاريخ والادب ودواوين المترسلين خير ما يمكنك التوصل اليه ثم استقصِ في التنقيب عن اسرار البلاغة فيها حتى لا يفوتك منها شيءٌ وحتى تألف جميع ما ذكروه ومهما وجدت من بيت بليغ وعبارات رائعة لما فيها من الايجاز وسمو المعنى فاخزنها في ذاكرتك لا في دفترك واياك والسخيف من الكتب والاقاصيص فانها تفسد عليك حسن ذوقك فتجنبها . واعلم انك ان راعيت ما ذكرته لك فلا يبعد ان كنت من اهل البلاغة ان تبلغ فيها شأواً بعيداً ومكانة تحسد عليها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الايجاز في المقالات والرسائل

هذا النوع من الايجاز هو العمدة وعليه مدار البلاغة في الحقيقة والفرق بينه وبين ما مرّ انما هو في الجملة الواحدة بمعنى ان تخلو من كل كلمة يمكن الاستغناء عنها وهذا في المقالة او الرسالة بمعنى ان تخلو من كل جملة يمكن الاستغناء عنها ولا بد في كل جملة من جملهِ على حدتها ان تخلو من كل حشو لا فائدة منه . فان قلت فما هو حد هذا الايجاز وعلى ماذا مداره قلت اما حدُّهُ فاخصر طريق لبلوغ المعاني المرادة الى الذهن واما مداره فعلى التروي والتفكر في الغاية من مقالتك او رسالتك فلا تذكر فيها ما لا تحتاج اليه مما يصرف الذهن عن غايتك او يشوش على السامع معرفة تمام مقصودك كما اذا كانت غاية رسالتك استدرار الاحسان على زيد مثلاً فعليك حينئذٍ ان لا تذكر فيها ما يطول به الكلام لغير فائدة ولا ما يصرف ذهن المخاطب عن هذه الغاية وفضلاً عن ذلك عليك ان لا تذكر من الجمل المحركة حاسة الاحسان الاَّ قدر ما ينبغي وعلى ما ينبغي وان يكون انتقال الفكر من الجملة الواحدة الى ما بعدها مألوفاً عند العقل وان يكون على تدريج فتنتقل من منبه الى مؤثر الى محرّك للاحسان الى موجب له فعلاً

على ان هذا النوع من الايجاز لا تبلغه الاَّ مع الايام كلما ازددت خبرة باحوال الكون واحوال نفسك وبشريعة ائتلاف الافكار مع ما ينضم الى ذلك من معرفة اطباع الناس وطبقات عقولهم والله اعلم

الاطناب

الاطناب في الجملة ان يزيد لفظها على معناها لنكتة وانواعه على ما ذكروه :

(١) الايضاح بعد الابهام نحو « ربي اشرح لي صدري » ونحو « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت » ونحو « وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين » ومن الايضاح بعد الابهام التوشيع وهو ان يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الاول نحو « يشيب ابن آدم ويشبُّ فيه خصلتان الحرص وطول الامل » ونحو « اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » ونحو « العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان »

(٢) ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس منه نحو « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ونحو « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان الامر بالمعروف خاص والدعاء الى الخير عام. ونحو « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها » فان الجبال داخلة في جملة الارض لكن لفظ الارض عام ولفظ الجبال خاص ومن الخاص والعام مع تقديم الخاص قول الشاعر (اعلم ان الاولى بالخاص ان يذكر بعد العام لا قبله)

وإنَّ الذي بيني وبينَ بني أبي ... وبينَ بني عمي لمُختلفٌ جِدًّا
إذا اكلوا لحمي وفَرَتُ لحومَهم ... وإن هَدَمُوا مجدي بَنيتُ لهم مجدا
وإن ضيَّعُوا غَيبي حَفِظتُ غُيوبهم ... وإن هُمُ هَوُوْا غَيّي هَوِيتُ لهم رُشْدَا

فان كل لحم يوكل للانسان فهو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه آكلاً للحمه لان اكل اللحم كناية عن الاغتياب واما تضييع الغيب فمنه

الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائناً ما كان

(٣) التكرير لنكتة كزيادة التوكيد نحو « كلاَّ سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» ونحو« وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين » ونحو « ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علياً فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يطلق عليٌّ ابنتي و ينكح ابنتهم» وعليه ورد قول الشاعر

أَلا يا أَسْلَمِي ثُمَّ أَسْـ لمي ثُمَّتَ أَسْلَمِي

مبالغة في الدعاء لها با لسلامة

ومن نكت التكرير التنبيه والايقاظ يتخللهما شيءٌ من الاستعطاف نحو قوله « وقال الذي آمن ياقوم اتبعونِ اهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع » ومنها زيادة التوجع والتحسر كقوله

فيا قبرَ مَعنٍ انتَ اوَّلُ حُفرَةٍ منَ الأَرضِ خُطَّتْ للسَّماحةِ مَضجَعا
ويا قبرَ مَعْنٍ كيفَ وارَيتَ جُودَهُ وقد كانَ منـهُ البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا

ومنها اظهار علائم الاستحسان او المدح وما اشبه من الانفعالات عند النطق باللفظ المكرَّر كقول الشاعر

الى مَعْدِنِ العِزِّ المُؤَثَّلِ والنَّدَى هُناكَ هناكَ الفضلُ والخُلُقُ الجَزْلُ

(٤) الايغال من اوغل في البلاد اذا ابعد فيها وقالوا في تفسيره هو ختم البيت من الشعر بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة او تحقيق التشبيه فمن الاول قول الخنساء

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ بهِ كأَنهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

فان قولها « كأنه علم » واف بالمقصود وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية لكنها اتت بقولها في راسه نارُ ايغالاً وزيادة للمبالغة ومثل قولها قول الآخر

شيخٌ يَرَى الصَّلواتِ الخَمسَ نافِلَةً ويَستحلُّ دَمَ الحُجَّاجِ في الحَرَمِ

فان قوله « في الحرم » يتم المعنى بدونه ولكنه ذكره زيادة للمبالغة ومثال تحقيق التشبيه قول امرىء القيس

كأنَّ عُيونَ الوحشِ حولَ خِبائِنا وأَرحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ

شبه عيون الوحش بالجزع وهو الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض لكنه اتى بقوله لم يثقب تحقيقاً للتشبيه لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان اشبه بالعيون هكذا قالوا . قيل ولا يختص الايغال بالشعر بل يجري فيه وفي النثر كقوله « يرزق من يشاء بغير حساب »

(٥) التذييل وهو تعقيب الجملة بجملة اخرى تشتمل على معناها تاكيداً لمنطوق فيها كقوله « تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » اوتأكيداً لمفهوم منها نحو « يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير » واحسنه ما جاءت فيه الجملة الثانية على صورة المثل اي ان تكون الجملة الثانية حكماً كلياً منفصلاً عما قبلها جارياً مجرى الامثال في الاستقلال وفشوّ الاستعمال نحو « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » ومن امثلة التذييل شعراً قولهُ

ولَستَ بِمُستَبقٍ اخًا لا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

وقول الآخر

لم يُبقِ جُودُكَ لي شيئًا أُؤَمِّلُهُ تركتني اصحبُ الدنيا بلا امَلِ

(٦) التكميل ويسمى الاحتراس ايضاً وهو ان يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلةٍ على المؤمنين اعزةٍ على الكافرين» فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم ان ذلك لضعفهم. ومثله «ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن» ومثاله شعراً

فسقى ديارَكَ غيرَ مُفسِدِها صَوبُ الرَّبيع ودِيمَةٌ تَهمي

وقول الآخر

حَليمٌ إذا ما الحِلمُ زَيَّنَ أَهلَهُ مَعَ الحِلمِ في عَينِ العَدوِّ مَهيبِ

(٧) التتميم وهو ان يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة كالمبالغة نحو «ويطعمون الطعام على حبه» اي مع حبه والاحتياج اليه والضمير يعود الى الطعام. اوتقليل المدة نحو «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً» ذكر ليلاً مع ان الاسراء لايكون الا بالليل للدلالة على انه أسرى في بعض الليل (هكذا ذكره العلامة التفتازاني)

(٨) الاعتراض وهو ان يؤتى في اثناء كلام اوبين كلامين متصلين معنى بجملةٍ او اكثر لامحل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام كالتنزيه والدعاء والتنبيه والمطابقة والاستعطاف وبيان السبب لامرٍ فيه غرابة

قال ابن الاثير والاعتراض اذا كان هكذا كسا الكلام لطفاً ان كان غزلاً وكساه ابهة وجلالاً ان كان مديحاً او ما يجري مجراه من اساليب الكلام وان كان هجاءً كساه تأكيداً واثباتاً ومن امثلة الاعتراض قوله «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون» وكقول الشاعر

إنَّ الثَّمانينَ وبُلِّغتَها قد احوجَت سَمعي الى تُرجُمانْ

وكقوله : واعلمْ فعلُ المَرْءِ ينفعُهُ أن سوفَ يأتي كلُّ ما قُدِرا
وكقوله : وخُفوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهيبهُ يا جنتي لظننتِ فيهِ جهنَّما
وكقوله: فلا هجرُهُ يَبدو وفي اليأسِ راحةٌ ولا وصلُهُ يَصفُو لنا فنكارِمهْ

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب على ما يقول العلامة ابن الاثير قول بعضهم

فلو سألتْ سَراةَ الحيِّ سلمى عَلَى أن قد تلوَّنَ بي زماني
لخبَّرَها ذوو احسابِ قومي واعدائي فكلٌّ قد بلاني

وقول الآخر

وإنَّ الّذي لي ان لحظتَ مطالبي منَ الشّعرِ إلاّ في مديحكَ اطوَعُ

وكقوله ايضاً

رَددتَ رَونقَ وجهي في صحيفتهِ رَدَّ الصّقالِ بَهاءَ الصّارمِ الخذِمِ
وما أُبالي وخَيرُ القولِ اصدَقُهُ حَقَنتَ لي ماءَ وَجهي ام حقنتَ دمي

وقول الآخر

لوَ انَّ الباخلينَ وأنت منهمْ رَأَوكَ تعلَّموا منكَ المِطالا

وهنا نقول ان العلامة ابن الاثير افرد لهذه الانواع الثمانية ثلاثة ابواب على الاستقلال باب الاطناب وباب التكرير وباب الاعتراض (فراجع ما ذكره في كتابه المثل السائر طبع بولاق ٣٣١ الى ٣٧٦) واما السكاكي فلم يجعل الايجاز والاطناب ابواباً مستقلة براسها انما جعلها مبنية على غيره واليك ما قاله « واما الحالات المقتضية لطي الجمل عن الكلام ايجاز ولا طيها إطناباً فمن احاط علماً بما سبق استغنى بذلك عن بسط الكلام هنا فلنقتصر على بيان معنى الايجاز والاطناب وعلى ايراد عدَّة امثلة في الجانبين الخ » ومن تأمل ظهر له

صحة ما اعتبره امام البيانيين وشيخهم رحمه الله ولذلك قلنا في بدء هذه الابحاث ان الايجاز والاطناب من الصفات التي تتصف بها الجملة لا من العوارض التي تعرض لها وانها اي الجملة بعد اذ تعرض لها العوارض من الذكر و الحذف الخ تستقل باحد هذه الاوصاف ومن المهم هنا ان ننظر في المسوّغ العقليّ الذي ينبني عليه الاطناب فانك اذا عرفت المسوّغ هان عليك ان تعرف متى يحتاج الكلام الى اطناب ومتى لا يحتاج اليه

ملاحظاتٌ يمكن ان يتفطن الذهن معها لمسوغات الاطناب ومعرفة المواقع اللائقة بهِ

اعلم (اولاً) ان الغاية من الكلام انما هي نقل المعنى من ذهن المتكلم الى ذهن السامع وتاثيره في نفس السامع وفقاً لما يريده المتكلم . والعمدة في التأثير على وضوح صورة هذا المنقول فكلما كانت الصورة اوضح واجلى كان التاثير اشدّ واقوى والعكس بالعكس فاذن وضوح صور المعاني المدلول عليها بالالفاظ انما هو من الشروط الاولية في البلاغة ومن اهم مقوّماتها واركانها الاصلية فلا يذهب عن بالك هذا الاصل

(ثانياً) لابدَّ مع الاعتماد على نقل صور المعاني واضحة الى ذهن السامع من مراعاة الاقتصاد في استنفاق قواه العصبية اعني ان لا نكلفه الى انفاق شيء من قوة انتباهه سدًى فاننا كلما اقتصدنا عليه في الانفاق على فهم معنى سهلنا عليه الطريق لفهم ما بعده من المعاني وبالعكس مهما تقاضيناه لصرف قوة في غير لزوم على فهم جملة فاننا نعسر عليه الطريق لفهم معنى ما بعدها حتى اذا كلّ

ذهنه بكثرة التقاضي لصرف القوة في غير موضعها امتنع عليه الفهم جملة وفي امتناع الفهم عليه اخلال بالغاية التي قصدنا لها من نقل المعنى الى ذهنه واخلال بمقتضى البلاغة ايضاً . واذا علمت هذين الاصلين نعود فنقدم لك الملاحظات الاتية (ا) لاتنبه العقل الى ادراك شيء ثم تصرفه عن ذلك الادراك الى آخر لانك بهذا تكلفه الى صرف قوتين قوة اقتضت تنبهه اولاً وقوة اقتضت ازالة ذلك التنبه ثانياً وكل ذلك في غير موضعه (ب) لاتكلف السامع الى تصور المعنى مرتين ويمكنك ان تستغني عن المرتين بالمرة الواحدة فان في ذلك اسرافاً ظاهراً لا حاجة اليه (ج) نبه الذهن الى المعنى المراد اولاً ثم صوّره له على التدريج او دفعة واحدة على حسب قوة الذهن على الادراك او ضعفه عنه (د) اذا كان المعنى المراد كبيراً وصوّرته با لجملة دفعة واحدة فقبل ان تنتقل عنه الى معنى آخر خلافه مكن الذهن من فرصة للاحاطة به وفقاً لما ترغب وذلك اما باعادة لفظ الجملة او باعادة معناها لانك ان سكتّ فلا يبعد ان الذهن يتوقف عن الادراك لما يرى فيه من الصعوبة بخلاف ما إذا اعدت لفظ الجملة او معناها فان الاعادة تنزّل بمنزلة حاثٍّ يحثُّ الذهن على التصور والادراك ومثل هذا مثل من كلفته لوثبة يشق عليه وثبها او لرفع ثقل يشق عليه رفعه فانك اذا خليته ونفسه فربما تراخى عن الوثب او الرفع بخلاف ما اذا حثثته على العمل فان ذلك يدفعهُ الى التجربة وفي التجربة الحصول على البغية كثيراً (ه) المعاني المراد تصويرها وهي من قبيل الاحداث النفسانية كالتعجب والاستعظام والتشوق والدعاء والغضب والرضى والمدح والذمّ والفرح والحزن والتأسف والتحسر وما شابه جميع هذه يجب تكرار اللفظ او العبارة الدالة عليها اما بلفظها

او بمرادفها اذا اريد بيان شدتها وعظم تأثر النفس بها لان مجرّد ذكرها من غير تكرار لايخرج في الغالب عن تنبيه الذهن اليها من غير ان يتجاوز ادراكه الى تصور مقدارها وشدة تأثر النفس بها ومثاله الحديث الذي مرّ بك عن الرسول وعدم رضاه عن تزوج الامام عليّ بنت هشام بن المغيرة فانه قال « ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم عليًّا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الاّ ان يطلق عليٌّ ابنتي وينكح ابنتهم » فان تكرار لا آذن ثم لا آذن يصور في نفس السامع شدة كراهته ومقدار تأثره من هذا الاستئذان ولو اقتصر على مجرّد قوله لا آذن ما خرجت العبارة عن التنبيه على عدم الرضا ومن قبيل ما ورد عن بعض شعراء الحماسة

الى معدنِ العزِّ المؤثَّلِ والنَّدَى هُناكَ هُناكَ الفضلُ والخُلُقُ الجزْلُ

فان تكرار هناك ينقل الى النفس من شدة الاستحسان والمبالغة في بيان الفضل ما لا يخفى على ذي ذوق سليم وكذلك قول الاخر في مقام الدعاء

ألا يا اسْلمي ثمَّ اسْـ لمي ثُمَّتِ اسلمي

فان هذا التكرار ينقل الى ذهن السامع مقدار الانفعال الذي بعث على تكرار الدعاء لتلك الدار بالسلامة ويصوّر له شدّته وعظم تأثر النفس به ومن الواضح في هذا المعنى في مقام التأسف والتحسر قول استاذي العلامة المرحوم ابراهيم حوراني يرثي ولده قال

أسفي على ولدي نسيبِ ما سلا قلبي النسيبَ وغادرَ الأغزالا
أسفي على الصبح المسجّى ما سَجا ليلُ الفراق على الأسيفِ وطالا
أسفي عليهِ ما حييتُ ولاحَ لي صُبحُ الثلاثا أسوَداً مُغتالا

فان حاسة الحزن والاسف ما كانت لتسعها لفظة اسفي مرة واحدة فاقتضى

الامر التكرار والتكرار ينقل الى نفس السامع من شدّة الحزن والاسف ما تعلمه

وهنا ينبغي ان يعلم ان لغنّة الصوت مع هذه الالفاظ المكررة اعظم دخل في نقل الانفعال الى النفس وتصوير مقداره لان في غنة الصوت من الدلالة الطبيعية على تصوير الانفعالات النفسانية ما لا ينقلها مجرّد رؤية الالفاظ مكررة ولهذا الامر اعني غنة الصوت ينبغي ايضاً ان تنسب كثيراً مما تراه من حسن وقع الكلام عند ذكر الادوات التي لا معنى لها في نفسها كلفظة ألا في بيت الحماسة المارّ ذكره ولفظة (يا) في نحو قول «ياليتني كنت معهم»

ونحو : يا حبّذا المتحمّلونَ وحبّذا وادٍ لثمتُ بهِ الغزالةَ كاعبا

ولفظة ها السكت في نحو «واحسرتاه · واحرّ قلباه ممن قلبه شبم» وما الزائدة في مثل قوله

إنْ كُنتِ ازمعتِ على هجرنا من غيرِ ما جُرْمٍ فصبرٌ جميل

وغير هذا مما اذا تفطنت لها لايخفى عليك معرفتها والله يعلم وانتم لاتعلمون

ابحاث متفرقة

بحث

في المراد بدلالة فاعل نعم و بئس المحلى بأل

نعم و بئس افعال خاصة بالمدح والذم الا ان المدح والذم انما يتوجهان الى الافعال او الصفات دون مجرد الذوات لان الذوات من حيث هي ذوات لا يتوجه اليها مدح او ذم وذلك لايخفى على المتأمل

على ماذا تدخل هذه الافعال

(١) تدخل على المحلّى بالالف واللام بعده المخصوص نحو « نعم الرجل زيدٌ وبئس الفارس عمرٌو »

(٢) على نكرة منصوبة على التمييز بعدها المخصوص نحو « نعم رجلاً زيد وبئس عالمًا عمرو »

(٣) على ما والفعل نحو « نعم ما فعلت وبئس ما شروا به انفسهم » والواقف على اقوال النحاة يعلم انهم نصوا على ان المحلى بالالف واللام لايجتمع هو والمنصوب اذا كان من لفظ واحد لعدم الفائدة نحو « نعم الرجل رجلاً زيد » وسبب عدم الفائدة انما هو لان دلالة المنصوب ودلالة المحلى بالالف واللام دلالة واحدة

ماذا يؤخذ من ذلك

بناءً على ان دلالة « نعم الرجل زيدٌ » ودلالة « نعم رجلاً زيدٌ » هي دلالة واحدة وبناءً على ما قدمناه من ان المدح والذم لا يتوجهان الى الذوات من حيث هي ذوات بل يتوجهان اما الى افعال الذوات او الى الصفات المتصفة بها يوخذ من كل ذلك ان المراد من قولنا « نعم الرجل زيدٌ » انما هو مدح الصفات المقومة للرجل التي يتصف بها زيد اي مدح الرجولية التي فيه وعليه فمدلول الرجل في المثال انما هو الماهية بمعنى انها مجموع الصفات المقومة لمفهوم الرجل. وهكذا قولنا « نعم العالم زيدٌ » فان معناه نعم زيد من حيث اتصافه بالعلم او نعم العالمية التي فيه

وعليه فقولهم في « نعم الرجل زيد » انه مدح للجنس على المبالغة من اجل زيد قول لا سند له الاَّ على التأويل الذي قدمناه وفيه غفلة عما صرح به غير واحد منهم من ان متوجه المدح والذم لا يكون الاَّ الى الافعال او الصفات ان كان مرادهم بمدح الجنس مدح سائر افراده فتأمل

بقي علينا تخريج مثل قولهم « نعم ما فعل زيد » وتخريجه بناءً على ان المدح يتوجه راساً الى الافعال واضح كل الوضوح لانا نعرب ما موصولية وهي فاعل نعم ولا حاجة الى المخصوص لانه مدلول عليه بالصلة ويكون منطوق العبارة « نعم الذي فعله زيدٌ » وهو مساوٍ لقولنا « نعم فعل زيدٍ » والفعل كما قدمناهُ غاية يتوجه اليها المدح والذم راساً والله اعلم

بحث

في المراد بدلالة علم الشخص وعلم الجنس واسم الجنس والمعرَّف بلام الحقيقة او لام الجنس

هذا البحث فلسفي يظهر منه لاول وهلة انه من المسائل العقلية التي لادخل لها بعلم المعاني الا ان المتامل يرى فيه ما يروض الذهن ويقويه على فهم حقيقة المعاني المرادة بالالفاظ وهذا من اجلّ غايات علم المعاني على ما ارى لان صاحب هذا العلم ان لم يدرك على اتم صورة حقيقية المعنى المراد باللفظ كان حكمهُ حكم قوم لم يشامُّوا هذا الفن وفاتهم ما فيه من المباحث الجليلة

واول ما نوجه النظر اليه ان هذه الاسماء تدلُّ على صورة ذهنية ماخوذة اما عن حقائق موجودة راساً في الخارج او مجردة عنها بعد الملاحظة والاستقراء . والحقائق الموجودة في الخارج المتعلقة بموضوع بحثنا الآن انما

هي افراد الانواع او الاجناس واما الانواع والاجناس نفسها فلا وجود لها في الخارج انما هي صور ذهنية مجردة عن تلك الافراد بعد الاستقراء والمقابلة

اذا نظرت الى افراد الانواع رأيت كل فرد منها متمايزاً عن الآخر بمميزات وخصائص تفرده عن غيره ثم اذا الفت تلك الافراد وحدقت نظرك بمميزاتها استقلت صورة كل فرد منها في ذهنك عن صورة غيره من الافراد وامكنك بعد غيابها عن عينك تصوُّرها واضحة من غير اختلاط بغيرها من الصور الذهنية . فهذه الافراد من حيث وجودها في الخارج مستقلة متمايزة لا يختلط احدها بالاخر يمكنك ان تضع لها علامات من الاسماء مستقلة متمايزة فتضع لكل فرد اسماً حتى اذا ذكر لك ذلك الاسم تصوَّرت المسمى على مثل ما هو في الخارج متميزاً من غير اختلاط بغيره والاسماء الموضوعة على مثل ما قدمنا انما هي الاعلام الشخصية فاحفظ ذلك في ذهنك . على انك لو اردت ان تضع لكل فرد من افراد الانواع اسماً خاصاً على الوجه الذي ذكرناه كثرت عليك اسماء الاعلام على غير طائل وحال ذلك دون سهولة التفاهم والفائدة منه المقصودة من اللغة . والذي نرى اللغة عليه ان اسماء الاعلام قليلة في استعمالها واكثر منها اسماء الانواع والاجناس كانسان ورجل وامرأة وصبي وابنة واسد ولبوءة وحصان وحِجْر وحجرَ وشجر وهلم جرًّا وعلى هذه الاسماء لا على اسماء الاعلام اغلب مدار احكام اللغة فكيف جاءت هذه الاسماء وما هي الصور الذهنية الموضوعة بازائها ومن اين جاءت اذا لم يكن لها وجود مستقل في الخارج . قلنا جاءت من افراد الانواع بطريق التجريد على البيان الذي ترى اعلم ان افراد الانواع كزيد وعمر وبكر الخ من افراد الرجل وغيرها

مما هو من بابها اذا تاملتها وحدقت بنظرك اليها وجدتها تتشابه في اشياء كثيرة فكل فرد منها يشبه كل ما سواه من بقية الافراد في اشياء ويختلف عنها في اشياء (والاختلاف هو سبب التمايز والاستقلال في الصورة دون التشابه) ثم اذا تاملت رأيت ذلك التشابه ساريًا في كل فرد من افراد النوع وهو واحد لا يتعدد ولا يتكثر بوجه من الوجوه ولو تعدد وتكثر لخرج عما به التشابه الى ما به التخالف والامتياز فان في زيد وعمرو وبكر الخ من افراد الرجل شيئًا واحداً لا يختلف في واحد منهم عما هو عليه في الآخر وهكذا في كل افراد غيره من الانواع فهذا الشيء القائم به التشابه بين الافراد والذي لا بد من وجوده في كل فرد من غير اختلاف ولا تخلف هو ما يسمونه بالماهية فالماهية اذن هي معنىً او مجموع معانٍ تشترك بها كل الافراد التي هي من نوع او جنس واحد . ولا يذهب عنك ان المعاني التي بها الاشتراك والتشابه بين الافراد والتي هي الماهية تكثر او تقل على حسب قرب الانواع والاجناس او بعدها فاذا قربت الانواع والاجناس كثرت المعاني المقوّمة للماهية واذا بعدت قلّت . وربما زادفت الحقيقة الماهية في بعض المواقع كقولنا « الحقيقة الانسانية» فانها بمعنى الماهية الانسانية

عرفت مما مرّ بنا ما هي الماهية وما المراد بها ونعيد عليك ان الماهية لا وجود لها على الاستقلال انما هي موجودة ضمن الافراد ولا تتحقق تحققًا يتمكن معه العقل من تجريدها الا مع التعدد والاختلاف فما لم تتعدد الافراد وتختلف مع تعددها ايضًا فلا يمكن تجريد الماهية وفصل صورتها عن صورة الفرد . وعليه فلو فرضنا انه لا يوجد من نوع او جنس الا فرد واحد لكان ذلك

الفرد والماهية شيئاً واحداً لا يقدر الذهن على تصوُّر الماهية بصورة غير صورة الفرد وكذلك لو تكثرت الافراد وكانت جميعها متماثلة لا اختلاف بينها في شيء من المميزات فلا يتصوّر ان تتميز صورة الماهية عن صورة فرد من تلك الافراد

عرفنا ما هي الماهية وعرفنا ان اساس تجريدها مبني على التعدد والاختلاف ونزيدك ان العقل وان امكنه تجريد الماهية فلا يمكنه فصلها عن الفرد وعن اختلاف في الفرد (مهما كان) يتمايز به ذلك الفرد عن غيره وذلك الاختلاف ايضاً وان كان لا يمكن العقل تعيينه ما هو فلا بد من ان يتوجه اليه التفاته كلما ذكر الاسم الدال على الماهية . وبعد ان وقفت على ما قدمناه نقول لك ان اسم الجنس كرجل مثلاً هو ما وضع لواحد من افراد جنسه من حيث دلالته على الماهية قصداً مع توجه الفكر الى ان لا بد من مميزات كيف كانت تضاف الى الماهية فيحصل بها التمايز بين فرد وآخر في الخارج

ومن خصوصيات اسم الجنس انه يذكر بالكثرة وان الصورة التي يتصورها السامع عند ذكره هي صورة خفية مضطربة تظهر له لمحة تارة بصورة هذا الفرد الذي كان رآه قبلاً واخرى بصورة ذاك ومنها انه كثيراً ما ينتظر العقل بعد ذكره اردافه بمميز من الصفات التي تستقل بها صورته بعض الاستقلال في الذهن عن غيره من بقية الافراد المدلول عليها كقولك جاءني رجل فان العقل ينتظر اردافه بصفة مما يعلم امكان اتصافه بها كطويل او قصير وعالم اوجاهل الخ فاذا لم يردف بقي الكلام مضطرباً او عارياً عن الفائدة الا اذا تقدم عليه او تاخر عنه من قرائن الاحوال ما يدلُّ على صفة .

وهذا هو السبب في ان التنكير يدلُّ تارة على التعظيم واخرى على التحقير بحسب دلالة المقام على الصفة التي هي منشأ لاحدهما

قد عرفت ما هو مدلول اسم الجنس (اي الوحدة والماهية) فالتقدم لبيان ما هو المدلول عليه بعلم الجنس . وهناك نرجع بك الى الافراد ايضاً لكن على غير ما عرفت

قلنا ان الافراد تتشابه من جهة وتختلف من أُخرى الا ان بعض الانواع (لا سيما القريبة كاصناف او تنوعات النوع الواحد) قد يغلب بين افرادها التشابه على الاختلاف فاذا نظر اليها لاول مرة ظهرت المشابهة غالبة جداً ولا يظهر التمايز بين فرد منها وآخر الا بعد الالفة بها فهذا التشابه الغالب هو المسوّغ لوضع بعض اعلام الاجناس كأُسامة للاسد وذؤالة للذئب وثعالة لانثى الثعلب فان افراد الاسد لما كانت قريبة المشابهة بعضها من بعض جداً وهكذا افراد الذئب والثعلب وكانت هذه الحيوانات في غاية النفور من الناس لا يتهيأ لهم الفتها كما تهيأ لهم ذلك في الفرس والجمل ليروا التمايز الواضح بين افرادها تخيلوا في افرادها التماثل فوضعوا لها اعلامها جرياً على مبدإ ان ما صح اطلاقه على احد المتماثلات يصح اطلاقه على غيره منها

ومن باب اسامة للاسد (جون بول) للانكليزي و (جوناثان) للاميركاني عند الانكليز والاميركان

واذا علمت مبنى وضع العلم الجنسي ومسوغه صار يمكننا تحديده لك فنقول « هو ما وضع لكل واحد من افراد نوع او جنس بناءً على التشابه

الغالب بينها المتخيل بلوغه الى درجة التماثل مع قطع النظر عن التفرقة بين خصوصية المميزات بينها »

بقي علينا المعرّف بلام الجنس او لام الحقيقة وهو قريب الدلالة جدًا من علم الجنس كما ترى في قولنا « الاسد اشرف من الذئب » وقولنا « اسامة اشرف من الذئب » فانك لا تكاد تحس فرقًا بين ما تصورته من الجملة الاولى وبين ما تصورته من الثانية وهكذا اذا قلنا « اسامة اشجع من ذوالة » وابدلنا علم الجنس بالمعرف بلامه وقلنا « الاسد اشجع من الذئب » فانا لانكاد نرى من فرق بين المفهومين في كلتا الصورتين فما هو المشار اليه اذن بهذه اللام فان قيل هو الماهية قلنا اسم الجنس موضوع للدلالة عليها مع اللمحة الى وجوب اقترانها بميز ما في الخارج كما ذكرنا وان قيل هو الحقيقة قلنا وما المراد بالحقيقة ان لم تكن الماهية وعندي ان المشار اليه بلام الحقيقة انما هو الصورة الذهنية المأخوذة من معدل صور الافراد في الخارج ولهذا يشابه علم الجنس في مفهومه شديد المشابهة التي تعلمها وتحسها من نفسك كما رأينا في الامثلة المارة ولا بأس من بعض البيان

اعلم انه اذا امكننا ان نرى تشابهًا بين الافراد وان نجرد هذا الذي به التشابه لوحده فليس ما يمنع ان نرى صفات الافراد وان نأخذ صورة من معدلها وهذا لا يصعب على العقل بل ربما هو اسهل عنده من تجريد الماهية من صور الافراد ولا هو ايضًا غير مشاهد في اعماله بل ميل العقل واتجاهه لاخذ معدل لا ينكره الا غافل او مكابر دعنا من قولهم المتداول معدل عمر الانسان كذا ومعدل عمر الفرس كذا ومعدل عمر الفقراء كذا ومعدل

الاغنياء كذا او ما نسمع عوام الناس وخواصهم يقولون مئات من المرات ان اهل بلد كذا اطول او اقصر او اشجع او اكرم او افصح الخ من اهل بلد كذا. افليس مثل حكمهم هذا مبني على اخذ معدل الطول والقصر والشجاعة والكرم والفصاحة الخ في افراد البلدتين

وبناءً على كل ذلك وعلى امكان انطباق كل امثلة المعرف بلام الحقيقة على مبدإ المعدل اقول ان المعرَّف بها او المشار اليه بها انما هو الصورة الذهنية المأخوذة على سبيل الاستقراء من معدل صور الافراد في الخارج (لا يذهب عن بالك ان صورة الفرد انما هي صفاته المحسوسة والمعنوية المعلومة عندك) وانت اذا طابقت امثلة اللغة على هذا الحد لا تراها تشذ عنه في شيء ولا تخرج الا فيما تعليله واضح كل الوضوح. مثال ذلك التمثيل المشهور عند النحاة والبيانيين «الرجل افضل من المرأة» فانه لا يستقيم معناه الا اذا قلنا ان معدل الفضل المنتزع من افراد الرجل اكثر من معدل الفضل المنتزع من افراد المرأة وقولهم حقيقة الرجل افضل من حقيقة المرأة لا محصل الا اذا حملناه على هذا المحمل ومن بابه قولك «الانكليزي اطول من الفرنساوي» اي ان معدل طول القامة المنتزع من افراد الانكليز اكثر من معدل طول القامة المنتزع من افراد الافرنسيس الى غير ذلك من الامثلة كقولك الاسد اقوى من الانسان والمرأة اسرع احساساً من الرجل واشد منه حباً او بغضاً الى غير ذلك من الامثلة

ثم انه على مبدإنا هذا لا يجب الاستغراق (ومعنى الاستغراق ان يشمل الحكم كل فرد من افراد النوع) في شيء من الامثلة المارَّة فانه اذا كان

معدل الفضل المنتزع من افراد الرجل اكثر من معدل الفضل المنتزع من افراد المرأة فلا ينتج من ذلك ان يكون كل رجل افضل من كل امرأة فيفسد ويفسد المبدأ المستند اليه في تأويلها على انه كما لا يجب الاستغراق لا يمتنع ايضاً فقد يصح ارادته وذلك كما اذا اتفق ان تكون الصفة المنتزعة من كل فرد من افراد نوع اكثر من الصفة المنتزعة من كل فرد من افراد نوع آخر فانه حينئذ يكون معدل الصفة المنتزعة من كل افراد هذا اكثر من معدل الصفة المنتزعة من افراد ذاك وبالضرورة يدل الكلام على استغراق الحكم ومثاله قولنا « الفيل اضخم جثة من الانسان » فانه اتفق ان كل فرد من افراد الفيل اضخم جثة من كل فرد من افراد الانسان فبالضرورة يكون معدل الضخامة في افراد هذا اكثر ايضاً من معدل الضخامة في افراد ذاك والاستغراق لا مانع منه · وقد يظهر الاستغراق في غير صورة التفصيل كالمثال المار ذكره ومثاله قولنا « الرجل يختلف عن المرأة في شكله الظاهر بميزات لا تخفى على ذي مسكة » فانه اذا كانت الصورة المنتزعة من معدل صور افراد الرجل تختلف عن الصورة المنتزعة من معدل صور افراد المرأة فبالضرورة تكون صورة كل فرد من افراد الاول تختلف عن صورة كل فرد من افراد الثاني وبالضرورة يدل الكلام على استغراق الحكم فتأمل

واعلم ايضاً ان الماهية مشار اليها ضمناً في المعرَّف بلام الجنس لان الصورة المنتزعة من معدل الافراد هي الماهية وزيادة ولذلك فقد يمكن ان يتوجه الحكم رأساً الى الماهية واذا توجه اليها راساً دلّ الكلام على الاستغراق من دون حاجة الى تكلف ملاحظة الصورة المأخوذة من معدل الافراد كقولنا

« الانسان ضعيف » فان الحكم بالضعف يصح ان يتوجه الى الماهية لانها جزء مدلول الانسان فيصح لذلك ان يكون شاملاً لكل فرد من افراده ومثله قولنا « الانسان حيوان ناطق · والاسد حيوان مفترس · والحيوان جسم نام حساس متحرك بالارادة · والكلمة لفظ دال على معنى مفرد » واشباه هذه من سائر امثلة التعاريف فان الحكم في جميعها يصح ان يتوجه الى الماهية فتصح دلالته على الاستغراق طبعاً فقس على ما ذكر ما لم يذكر والله الهادي الى الصواب

بحث

في دلالة النكرة في الايجاب ودلالتها بعد النفي

النكرة واسم الجنس اسمان مختلفان لمعنى واحد فان لفظة انسان تسمى نكرة باعتبار انها مسمى شائع في جنسه واسم جنس باعتبار ان الرجل والمرأة نوعان داخلان تحته وهكذا غيرها من النكرات كرجل وامرأة وشجر وحجر وهلمّ جرًا

قلنا ان النكرة تدل على الوحدة والماهية فاذا اسند اليها حكم في الايجاب نحو « جاءني رجل » فيمكن ان يراد اسناده الى واحد من افراد تلك الماهية لا الى اكثر من واحد او الى واحد من افراد تلك الماهية لا الى واحد من افراد غيرها من الماهيات وعلى الاعتبار الاول يصح ان تقول « جاءني رجل لا رجلان او لا رجال » وعلى الثاني « جاءني رجل لا امرأة » ويمتنع في هذا المثل وما يشبهه ارادة الاستغراق على انه اذا قوبل بين نكرتين في حكم ويغلب ان يكون على ارادة تفضيل احداها على الاخرى نحو « تمرة خير من جرادة »

دلت النكرة على استغراق الآحاد لتوجه الحكم الى الماهية دون الوحدة اي ان الماهية المدلول عليها بلفظ تمرة مع اي وصف اقترنت به في الخارج خير من الماهية المدلول عليها بلفظ جرادة مع اي وصف اقترنت به كذلك . ومثله « مؤمن خير من كافر » و « فقير كيّس خير من غني احمق » و « صديق وصول خير من اخٍ قاطع » وهلم جرًّا

النكرة بعد النفي

اذا وقعت النكرة بعد ادوات نفي غير (لا) التي لنفي الجنس نحو « ما في الدار رجل » او « ليس في الدار رجل » فيحتمل ان يكون النفي متوجهاً الى الوحدة او الى الماهية فان توجه الى الوحدة انتفت هذه دون الاثنينية والجمع وان توجه الى الماهية انتفت كل افراد تلك الماهية دون غيرها من الماهيات وعلى ارادة نفي الوحدة يصح ان نقول « ما في الدار رجل بل رجلان او ثلاثة » وعلى ارادة نفي الماهية ليس في الدار رجل بل امرأة واما النكرة بعد (لا) التي لنفي الجنس فيراد توجه النفي فيها الى الماهية لان هذه مجعولة نصاً لنفي الماهية فيجب نفي جميع افراد النكرة بعدها ولهذا يمتنع ان يقال «لا رجل في الدار بل رجلان او رجال »

قابل ما ذكرناه في شان علم الجنس واسم الجنس والمعرَّف بلام الجنس على ما في المطول للعلامة التفتازاني في حواشيه للسيد الشريف طبع الاستانة وجه ٧٩ الى ٨٧ واحكم لنفسك بين ما اوردناه هنا وما هو وارد هناك

انتهى

فهرس الكتاب

مقدمة الكتاب

مقدمة الطبعة الثانية

١ مقدمة

٦ — ٢٨ تمهيد

٦ موضوع المعاني والبيان

٨ خاطر في الفصاحة والبلاغة

٢٥ خاطر في الصور الذهنية والافكار

٢٩ — ٥٧ القسم الاول في تقسيم الجملة

٢٩ الجملة البسيطة

٢٩ الجملة البسيطة المطلقة

٣١ الجملة البسيطة المقيدة

٣٨ الجملة المركبة

٤٠ ما يدخل تحت الجملة المركبة

٤٤ العطف بالواو الدالة على الجمع

٤٦ بسط الجمل وقبضها

٤٨ الجملة المؤلفة

٥٨ — ١٨١ القسم الثاني في ما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتأخير الخ

٥٨ الجملة الفعلية

٥٩ ترتيب الجملة الفعلية

صفحة

٦٠ حذف بعض متعلقات الفعل
٨٠ تاثير النفي في الجملة الفعلية
٨٤ الجملة الشرطية
٨٤ كلام في الجملة الشرطية عموماً
٨٥ (لو) واقسامها
٨٩ (إن) و (اذا)
١٢٣ الجملة الاسمية
١٢٣ الخبر واقسامه
١٣٩ تاثير النفي في جملة المبتدا والخبر
١٤٤ (كل)
١٤٧ ترتيب جملة المبتدا والخبر
١٥٣ حذف المبتدا وذكره
١٦٠ المسند اليه على العموم
١٧٧ القصر
١٨٢ القسم الثالث ، في بعض اوصاف تتصف بها الجملة
١٨٢ الجملة الخبرية
١٨٢ تعريفها
١٨٤ توكيدها
١٩١ الجملة الانشائية
١٩١ تعريفها وانواعها
١٩١ التمني
١٩٤ الاستفهام
٢٠٦ الامر والنهي
٢١٠ الندا
٢١١ الايجاز والاطناب والمساواة

٢١٢ الايجاز
٢٢٤ الاطناب
٢٣٢ ابحاث متفرقة
٢٣٢ المراد بدلالة فاعل نعم و بئس المحلى بأل
٢٣٥ المراد بدلالة علم الشخص وعلم الجنس واسم الجنس والمعرف بلام الحقيقة
٢٤٣ دلالة النكرة

Date Due

Demco 38-297

NYU - BOBST
31142 02882 9102
PJ6066 .D8 1930
Kitab al-k